جامعة الاسكندرية
كلية التربية

الآثار

دكتورة
إسمت غنيم
جامعة الاسكندرية

١٩٩١

بسم الله الرحمن الرحيم

تعرضت الإمبراطورية الرومانية بشقيها الشرقي والغربي لهجمات عناصر مختلفة ، سواء كانت هذه العناصر من البرابرة الجرمان ، أو من القبائل الآسيوية الرعوية ، وإذا كانت شبه جزيرة سكينديناوة في شمال أوروبا ، تبدو قريبة من حدود الإمبراطورية الرومانية في الغرب الاوروبي ، فقد كانت المناطق التي عاشت فيها الشعوب الآسيوية بعيدة الى حد ما عن أوروبا ، حيث عاشت هذه الشعوب في سهول آسيا في ظروف معيشية صعبة وتحت رحمة الطبيعة وتقلباتها ، لذلك أخذوا في التنقل والترحال من مكان الى آخر ، بحثا عن الغذاء لهم ولما معهم من خيل وماشية ، واضطروا أحيانا للقيام بغارات مدمرة هدفها السلب والنهب ، وتعرضت أوروبا لهذه الغارات بين الحين والحين ، وغدت السهول الواقعة شمالي بحر قزوين منفذا أمام هذه القبائل نفذت منه الى أوروبا ، فأثارت جوا من الرعب والفزع بين الشعوب الموجودة على حدود الامبراطورية الرومانية ثم داخل هذه الامبراطورية ذاتها فيما بعد .

وكان من بين هذه الشعوب الآسيوية ، السكيثيين Scythians ، والسارماشيين Sarmatians ، والهون Huns ، والآفار Avars ، والبلغار Bulgars ، والمجريين Magyars ، والمغول Mongols ، وغيرهم كثيرين .

ولا يخفى على أحد من الباحثين في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، الدور الذى قام به الهون منذ ظهورهم في حوض نهر الدانوب الأدنى في عام ٣٧٥م ، وحتى وفاة زعيمهم آتيلا في ٤٥٣م ، وانهيار امبراطورية الهون بعد هزيمتهم في معركة نديتو Nedeo في عام ٤٥٤م (١) .

---

(١) سعيد عاشور : أوروبا في العصور الوسطى ، الجزء الاول التاريخ السياسي ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ص ٧٢ ، ٩١ .

وقد لعب الآفار دورا قريب الشبه بالدور الذى لعبه الهون فى أوروبا ، فاستولوا مثلهم على موقع ممتاز فى وسط أوروبا على الحافة الغربية لنطاق السهل الآسيوى العظيم ، وظلوا اكثر من قرنين من الزمان يثيرون الرعب فى قلوب شعوب المنطقة الممتدة بين بحر البلطيق وشبه جزيرة المورة (البلوبونيز) ، وأخضعوا شعوبا كثيرة لسيطرتهم ، وكان حكمهم يتناسب مع اسلوب حياتهم ، وأصولهم فى بلاد السهوب ، اذ ينطوى على الاستبداد ، ويعتمد على القوة ، ويقوم على غارات السلب والنهب وبث الرعب والإرهاب .... ثم يتعرض للانهيار الفجائى .

وكان تأثير الآفار فى أوروبا العصور الوسطى تأثيرا كبيرا ، وكانت لهم علاقات مع الإمبراطورية الرومانية الشرقية ، وهددوا القسطنطينية أكثر من مرة ، كما هددوا غرب أوروبا ، وهاجموا إيطاليا ، وسببوا متاعب لمملكة الفرنجة ، حتى تم لشارلمان (٧٦٨ ـ ٨١٤م) القضاء عليهم ، وبذلك زالت عقبة أمام امتداد النفوذ الفرنجى شرقا ، كما مكن الفيكنج من الوصول الى نهر الدنيبر وسواحل البحر الأسود ، وتأسيس مدينة كييف ، التى كانت اللبنة الأولى فى صرح الإمبراطورية الروسية .

وقد إعتمدنا فى هذا البحث على العديد من المصادر المعاصرة ، وهى مصادر أصلية قيمة ، أمدتنا بالمعلومات التاريخية الهامة عن غزوات الآفار وأتباعهم من الصقالبة وغيرهم من العناصر الأخرى ، خلال النصف الثانى من القرن السادس الميلادى . كما أن هناك مصادر أخرى عرضت للحادث الخطير الخاص بحصار الآفار وأتباعهم لمدينة القسطنطينية فى عام ٦٢٦م . أثناء عهد الإمبراطور هرقل (٦١٠ ـ ٦٤١م) وتفاصيل هذا

≠ جوزيف نسيم يوسف : تاريخ العصور الوسطى الاوروبية ، الاسكندرية ، ١٩٨٤ ، ص ص ٨٠ ـ ٨٢ .

الصراع ، والنتائج التى ترتبت على فشله • وأمدتنا مصادر ثالثة بتفاصيل الصراع بين شارلمان والآفار ، وهو الصراع الذى إنتهى بقضاء شارلمان عليهم فى ٨٠٩م •

ومن أهم المصادر التى عرضت للآفار وبداية ظهورهم على مسرح الحوادث التاريخية ، وغاراتهم على أوروبا خلال النصف الثانى من القرن السادس الميلادى ، المصادر التالية حسب ترتيبها الزمنى :

يوحنا الأفسوسى John of Ephesus : (١)

هو كاتب سورى الأصل ، عاش فى أواسط القرن السادس الميلادى وقضى سنوات حياته فى آسيا الصغرى والقسطنطينية ، وتوفى فى عام ٥٨٦م • وأثناء حياته شغل منصب بطريرك كنيسة إفسوس وكان معروفا بصفة شخصية للإمبراطور جستنيان (٥٢٧_٥٦٥ م) وزوجته الإمبراطورة ثيودورا •

وكان يوحنا يؤمن بمذهب الطبيعة الواحدة للسيد المسيح Monophysite ، وكتب عن التاريخ الدينى Ecclesiastical History كتابا بدأه بعصر يوليوس قيصر (٤٩ ق•م_ ٤٤ ق•م) وانتهى به عند عام ٥٨٥م ، وقد ألقى فيه الضوء على الصراع بين الوثنية والمسيحية ، كما عرض لوجهة نظر أصحاب الطبيعة الواحدة •

وما يهمنا فى هذا المصدر ، هو الحوادث التاريخية التى عرض لها منذ عام ٥٢١_

---

(١) للمزيد عن يوحنا الافسوسى راجع :

C.Med.H.,ed.Hussey, Vol IV, part I. Cambridge,1975, PP.400,603,M.I.

Vasiliev : History of the Byzantine Empire,vol 1,PP. 150 - 51,164 - 65.

٥٨٥م. والتى اشتملت على معلومات قيمة فى التاريخ السياسى والثقافى للإمبراطورية البيزنطية فى القرن السادس الميلادى .

وقد كتب يوحنا مؤلفه هذا باللغة السريانية ، وترجمة الى اللغة الانجليزية باين سميث Payne- Smith ونشره فى أكسفورد فى عام ١٨٦٠م ، وهى الترجمة التى رجعنا إليها فى هذا البحث . وهناك ترجمة لاتينية لهذا المؤلف قام بها بروكس Brooks ، ولوفين Louvain ، وظهرت فى عام ١٩٣٦ .

أفاجريوس Evagrius :

يعرف باسم أفاجريوس السورى Evagrius of Syria ، ولد فى عام ٥٣٦م ، وتوفى فى عام ٦٠٠م ، وكتب فى التاريخ الكنسى Historia Ecclesiastica مؤلفا اشتمل على ستة فصول ، بدأه بمجمع إفسوس الدينى فى ٤٣١م وانتهى به عند عام ٥٩٣م . والى جانب الحوادث الدينية التى تضمنها ، اشتمل كتابه أيضا على حوادث تاريخية هامة للفترة الزمنية المشار اليها ، وقد نشره باللاتينية بيدز Bidez وبارمنتير Parmentier فى لندن فى عام ١٨٩٨م ، وهى الطبعة التى رجعنا اليها فى هذا البحث .

ميناندر Menander :

هو مؤرخ بيزنطى ، عاش فى القرن السادس الميلادى وكان موظفا فى القصر الإمبراطورى ، كلفه الامبراطور موريس (٥٨٢ ــ ٦٠٢م) بكتابة تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، فكتب تاريخا غطى فيه معظم القرن السادس الميلادى ، وتناول فيه بصورة أكثر تركيزاً الفترة الزمنية الممتدة من ٥٥٨ الى سنة ٥٨٢م ، وهى فترة هامة بالنسبة

لهذا البحث ، شهدت بداية اتصال الآفار بالإمبراطورية البيزنطية فى ٥٥٨م فى عصر الإمبراطور جستنيان ، ثم عرض لغارات الآفار وأتباعهم من السلاف والعناصر الأخرى على ممتلكات الإمبراطورية فى اقليم البلقان وبلاد اليونان حتى عام ٥٨٢م ، ويعتبر تاريخ ميناندر تكملة لتاريخ أجاثياس مؤرخ عصر جستنيان ، كما قام ثيوفيلاكتوس سيموكاتا بتكملة تاريخ ميناندر .

ولم يبق من تاريخ ميناندر سوى بعض أجزاء fragments نشرت فى عام ١٨٢٩م . فى مجموعة بون البيزنطية C.S.H.B. باسم (مقتطفات من التاريخ) Excerpta ex Historia ، كما قام ديندورف Dindorf بنشر هذه الأجزاء تحت إسم (تكملة تاريخ أجاثياس) Agathias Continuatus فى مدينة ليبزج فى عام ١٨٧١ فى مجموعة : Historici Graeci Minores وهذه الطبعة هى التى رجعنا اليها فى هذا البحث .

ثيوفيلاكتوس سيموكاتا Theophylactus Simocatta :

ولد بمصر ، وعاش بالقسطنطينية خلال عصر الامبراطور هرقل (٦١٠ــ ٦٤١م) ، وشغل منصب السكرتير الإمبراطورى ، والى جانب ماكتب عن العلوم الطبيعية وبعض الرسائل ، فانه كتب أيضا تاريخ عصر الإمبراطور موريس (٥٨٢ ــ ٦٠٢م) ، الذى (١) يعتبر مصدرا هاما عن عصر هذا الامبراطور ، وقد أمدنا بمعلومات ذات قيمة تاريخية كبيرة عن الآفار والسلاف فى منطقة البلقان عند نهاية القرن السادس الميلادى ، ونشره

(1) Ostrogorsky : History of the Byzantine State, trasl. by Hussey, Oxford, 1956, P.25.
Vosiliev : op.cit.,P. 161 - 162.

العالم دى بور De Boor باللغة اللاتينية تحت اسم التاريخ Historiae فى ليبزج Leipzig فى عام ١٨٨٧م .

يوحنا بيكلارنسيس Johannis Biclarensis :

عاش فى النصف الثانى من القرن السادس الميلادى ، وهو ينتمى الى القوط الغربيين Visigothes ، ولد بإسبانيا ، ثم انتقل للإقامة بالقسطنطينية ، وعاش بها لمدة سبعة عشر عاما ، ثم عاد لإسبانيا مرة أخرى ، وأثناء وجوده بالقسطنطينية درس اللغتين اليونانية واللاتينية (١) . وقد أعطى وصفا للحوادث التاريخية منذ عصر جستين الثانى (٥٦٥ ـ ٥٧٨م) وحتى عصر طيبريوس الثانى (٥٧٨ ـ ٥٨٢م) فيما أسماه (تاريخا أو عرضا للحوادث) Chronica ، ونشره باللاتينية مومسن Mommsen فى برلين ، فى عام ١٨٩٤م .

كانت هذه هى أهم المصادر التى رجعنا إليها عند معالجة تاريخ الآفار خلال النصف الثانى من القرن السادس الميلادى . أما الحادث الهام ، الخاص بحصارهم البرى والبحرى للعاصمة البيزنطية القسطنطينية فى عام ٦٢٦م ، فقد سجلته مجموعة من المصادر المعاصرة ، منها مادونه رجل الدين المعاصر چورچ بيسيديا Pisidia ، الذى كان يعمل شماسا فى كنيسة آيا صوفيا ، وقد دون كل ما يتعلق بهذا الحصار فى قصيدة شعرية تاريخية تضم اكثر من خمسمائة بيت من الشعر . وقد قسمت هذه القصيدة الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : عن الحملة التى قام بها هرقل ضد الفرس فى عام ٦٢٢م ، وأطلق على هذا القسم اسم (عن الحملة الفارسية) De expeditione persica

(1) Toynbeé A.: Constantine porphyrogenetus and his world, London,1973,P.633,N.I

والقسم الثاني : عن (حرب الآفار) Bellum Avaricum وقد دوّن في هذا القسم من أشعاره ، كل ما يتعلق بالحصار البري والبحري الذي فرضه الآفار وأتباعهم من القبائل الأخرى على القسطنطينية في عام ٦٢٦م .

أما القسم الثالث ، فكان عن المرحلة الاخيرة من حرب هرقل ضد الفرس ، وأطلق عليه اسم Heraclias .

وقد نشر بيكر Bekker اشعار بيسيديا في مجموعة بون البيزنطية C.S.H.B. خلال عامي ١٨٣٨ ، ١٨٣٩ ، وهذه هي الطبعة التي رجعنا إليها .

وهناك طبعة جديدة مع ترجمة وشرح للأشعار باللغة الإيطالية نشرها العالم الايطالي برتوسي Pertusi وظهرت في عام ١٩٦٠ تحت عنوان (شعر جورج بيسيديا) Giorgio di pisidia poemi, panegirici epici,Ettal, 1960.

وقد دوّن أيضا هذه الحوادث الخاصه بحصار الآفار للقسطنطينية في عام ٦٢٦م ، رجل الدين المعاصر ثيودور سنكيلوس Theodore Syncellus الذي كان زميلا لجورج بيسيديا في كنيسة آيا صوفيا ودوّن هذه الحوادث في خطبة ألقاها أمام البطريرك سير جيوس في ذكرى الاحتفال بانتصار البيزنطيين على الآفار وحلفائهم ، وتم هذا الاحتفال في يوم ٧ أغسطس ٦٢٧م ، وكان عنوان خطبته هو : " الهجوم الأحمق للآفار ، والفرس الزنادقه ، ضد المدينة التي يحميها الرب ، وتقهقرهم المخزي بفضل الحب الإلهي للشعب ، وبفضل شفاعة العذراء المباركة " . وقد نشرها العالم سترنباخ في عام ١٩٠٠م .

ومن المصادر الهامة التي عرضت لهذا الحادث التاريخي ما كتبه البطريرك نقفور Nicephori patriarchae الذي ولد في عام ٧٥٨م ٠ وتوفى في عام ٨٢٩م ٠ وهو ينحدر من عائلة نبيلة من عائلات القسطنطينية ، وشغل منصبا هاما في القصر الإمبراطوري وفي عام ٧٨٧م حضر مجمع نيقية الديني نائبا عن الإمبراطور قسطنطين السادس (٧٨٠ـ ٧٩٧م) وبعد انتهاء المجمع اعتزل نقفور الحياة العامة ، ولجأ الى دير أسسه بنفسه ، وفي ٨٠٦ تم تعيينه بطريرك لكنيسة القسطنطينية (آيا صوفيا) ، وظل بهذا المنصب حتى عام ٨١٥م ٠ حين عزله الامبراطور ليو الخامس (٨١٣ ـ ٨٢٠م) بعد أن رفض نقفور تأييد سياسة الامبراطور الخاصة بمناهضة عبادة الصور المقدسة ٠ (١)

وقد كتب نقفور عددا من الأعمال الدينية تتعلق بالجدل الذي أثير حول عبادة الصور المقدسة ، وكانت كتاباته هذه تتصف بالعنف ، وكتب أيضا عن تاريخ الإمبراطورية البيزنطية في الفترة الممتدة من عام ٦٠٢م ٠ وحتى عام ٧٧٠م ٠ ويعرف كتابه باسم (المختصر) Breviarium ، وقد توخى فيه الدقة والموضوعية ، ونشره العالم دي بور De Boor في ليبزج عام ١٨٨٠م ٠

الراهب ثيوفانيس (٢) : Theophanes

هو مؤرخ وعالم لاهوت متعمق ، ولد في عام ٧٥٨ وتوفى في عام ٨١٨م٠ وكتب

---

(١) للمزيد عن البطريرك نقفور واعماله ، راجع :
Alexander P.: The patriarch Nicephorus of Constantinople 1956.

(2) C.Led.H.ed.Hussey, vol IV, part I, PP.75, 80, 90, 447, 592, 603 N.I.
Ostrogorsky : op.cit.PP.25, 67 ff., 125, 131, 147 ff.
Vasibev: op.cit, P.365.

حوليات Chronographia عرض فيها للفترة الممتدة من عام ٢٨٤ الى عـــام ٨١٣م. ، واعتمد فيها على المصادر القديمة السابقة لعصره ، وخاصة ما كتب منها فـــى القرنين السابع والثامن الميلاديين ، فغدت حولياته ذات قيمة كبيرة ، وتمتعت بمكانـــة سامية فى بيزنطه ، وأصبحت بمثابة المصدر الأصلى لكل الحوليات البيزنطية المتأخـــرة زمنيا ، وقد قام انستاسيوس Anastasius ، أمين المكتبة البابوية خـــلال السبعينات من القرن التاسع الميلادى بترجمتها من الأصل اليونانى الى اللغة اللاتينية ، وعن هذا الطريق أصبحت حولياته معروفة فى الغرب الاوروبى ، وتمتعت بشهرة واسعـــة هناك . ثم قام العالم دى بور De Boor بنشرها فى جزئين فيما بين سنـــتى ١٨٨٣ ــ ١٨٨٥م ، فى مدينة ليبزج ، وهى الطبعة التى رجعنا إليها فى هذا البحث. على انه هناك طبعة باللغة الألمانية قام بها ريير Reyer ، وهى قاصرة علـــى الحوليات الواقعة بين سنوات ٧١٧ ــ ٨١٢ م ، ووضع لها مقدمة ونشرها فى عـــــام ١٩٥٧م .

أما عن علاقات الآثار باللومبارديين ، فقد تناولها المؤرخ المعاصر بولس الشماس (١) Paul the Deacon

---

(1) Paul The Deacon : History of the Lombards, travse. by Foulke, ed. Peters, PP. VII-VIII.

The illustrated Encyclopedia of Medievae Civilization, ed. Grabois, 1930, P. 576.

جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها ، الاسكندرية ١٩٨٤ ، ص ص ٣٠٤ ، ٣١٠ ، ٣١٩ .

اسامة زيد : اللومبارديون وعلاقاتهم بالقوى السياسية المجاورة فى ضوء كتابات المـــؤرخ بولس الشماس ، الاسكندرية ١٩٨٧ ، ص ص ٣ ــ ٥ .

الذى ينتمى الى اللومبارديين ، وعاش فى الفترة من ٧٢٠ ــ ٨٠٠ م ، وقد تلقى تعليمه فى البلاط الملكى فى بافايا Pavia ، ثم أصبح راهبا بندكتيا فى حوالى ٧٧٥م ، وعاش فى دير مونت كاسينو Monte Cassing ــ الى الجنوب الشرقى من روما ــ وفى عام ٧٨٢ ، قام بزيارة لملك الفرنجه شارلمان ، الذى أحسن إستقباله وظل مقيما ببلاطه حتى عام ٧٨٦م ، وأثناء وجوده هناك قام بكتابة تاريخ أساقفة متز Metz ، وبعد عودته الى دير مونت كاسينو فى إيطاليا ، شرع فى كتابة أكثر اعماله أهمية وهو تاريخ اللومبارديين ، Historia Lomgobardorum الذى كتبه باللاتينية وعرض فيه للفترة الزمنية الممتدة من ٦٦٨ ــ ٧٧٤ م .

وقد رجعنا الى الترجمة الانجليزية التى قام بها وليم دادلى فولك William Dudley Foulke ونشرها مع مقدمة لها ، ادوارد بترز Edward peters، وظهرت ضمن منشورات جامعة بنسلفانيا فى عام ١٩٧٤ تحت عنوان :
History of the Lombards.

ومن المصادر المعاصرة الهامة التى رجعنا اليها أيضا لاستقاء المادة التاريخية عن الفترة الاخيرة من تاريخ الآفار وكيفية قضاء شارلمان عليهم كتاب اينهارد Einhard مؤرخ عصر شارلمان .

ولد إينهارد فى عام ٧٧٠م ، فى مدينة فرانكونيا Franconia ، فى وسط ألمانيا ، وتلقى تعليمه فى المدرسة الملحقة بدير فولدا Fulda ، وهو دير بندكتى يقع فى شمال فرانكونيا ، وأسسه القديس بونيفيس Boniface فى عام ٧٤٤م ، ثم التحق إينهارد بمدرسة القصر ، التى أسسها شارلمان فى مدينة آخن Aachen ، وأصبح صديقا ومستشارا لشارلمان وبقى كذلك حتى وفاة شارلمان

فى ٨١٤ م . فتمتع إينهارد بمكانة كبيرة لدى إبن شارلمان وخليفته فى الحكم لويس التقى (٧٧٨ ـ ٨٤٠ م) الذى أنعم عليه بضياع واسعة فى ألمانيا .

وقد كتب اينهارد سيرة ذاتية لشارلمان تناول فيها أعماله ومآثره ، كما ضمنها كثيرا من التفاصيل التى انفرد بها ، وذلك نظرا لقربه من شارلمان ، وأطلق على هذه السيرة اسم (حياة شارل) Vita Caroli والغالب أنه كتبها فى الفترة ما بين سنتى ٨٢٩ ـ ٨٣٦ م . وتعتبر هذه السيرة الذاتية لشارلمان علامة بارزة فى هذا النوع من الكتابات فى العصور الوسطى .

الى جانب ذلك ، هناك ثلاثة أعمال أخرى لإينهارد :

العمل الأول هو (رسائل إينهارد) Einhard Epistolae وهى عبارة عن أبحاث فى إدارة أعماله فى ألمانيا ، وتعتبر شاهدا هاما على النظام الإقطاعى فى المجتمع الألمانى فى القرن التاسع الميلادى .

والعمل الثانى هو (ترجمة حياة ومعجزات القديسين مارسيلينوس وبطرس)
Detranslatione et miraculis Sanctorum Suorum Marcellini et Petri

أما العمل الثالث فهو (مذكرات فى تمجيد الصليب) Libellus de adoranda Croce . وقد كتب إينهارد أعماله كلها باللغة اللاتينية . وفى عام ٨٣٠ م . غادر إينهارد البلاط الملكى ورحل الى ضياعه فى ألمانيا واستقر بها حتى وفاته فى عام ٨٤٠ م (١) .

---

(١) عن إينهارد وأعماله راجع
- Einhard and Notker the Stammerer, Two Lives of Charlemagne, Trans, by Thorpe, Great Britain,1969,PP.12-15.
- Halphen L.ed.,Einhard,La Vie de Charlemagne,Paris,1923.
- The Illus.Encycl.of Medieval civilization,P.209.
ـ سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٠٦ .

وهى أول ترجمة إنجليزية لهذا العمل ، وأعيد طبعها فى أعوام ١٩٧١ ، ١٩٧١ ، ١٩٧٤ .

كانت هذه نبذة سريعة عن أهم المصادر التى رجعنا اليها فى هذا البحث . الى جانب عدد كبير من المراجع جرت الإشارة إليها على امتداد البحث . ونستعرض فى الصفحات التالية الدور الذى لعبه الآفار فى تاريخ أوروبا ، منذ بداية ظهورهم على مسرح الحوادث التاريخية ، وحتى القضاء عليهم على يد شارلمان .

فيما يتعلق بأصل الآفار ، فانه ليس هناك اختلاف كبير بين المؤرخين حــــول هذا الموضوع ، حيث أرجعتهم الغالبية من المصادر والمراجع الى عنصر الترك .

لقد ذكر كل من المؤرخين المعاصرين ميناندر ، وثيوفيلاكتوس سيموكاتــا ، أن الترك الذين كانوا يعيشون على ضفاف نهر تيل أو تولا (١) Til or Tula والذى كان الترك يطلقون عليه اسم (النهر الاسود) نظرا للون مياهه الداكن ، قد هاجمــوا الهون البيض المعروفين باسم هفثاليتس Hephthalites ، والأويغــور Uigurs ، الذين ينحدرون من سلالتين هما الفار والهون Var et Hunri ، ويطلق عليهم اسم فاركونيتس Varchonites ، وقد ذبح خان الأويغور هو وثلاثمائة ألف من اتباعه ، وتناثرت جثثهم لمسافة امتدت سفـــر أربعة أيام ، وقد فضل عدد ممن نجوا من هذه المذبحة ويقدر عددهم بمائتى ألف محارب

---

(١) نهر تيل نهر صغير يصب فى نهر سلنجا Selinga فى شمال منغوليـــا
راجـــع :

Gibbon : The Decline and fall of the Roman Empire, London, 1976, vol 4, P. 291 N. 2.

العرينى : المغول ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٢٩ .

النفى على العبودية ، نفروا وأتبعوا طريق نهر فولجا ، وظهروا فى الغرب ، فى شمال بلاد القوقاز ، وأطلقوا على أنفسهم إسم الآفار Avars ، وهو إسم شعب قديم أفضل منهم (١) .

ومعنى ذلك أن الآفار يرجع أصلهم الى الترك الأويغور الذين ينحدرون من سلالة الهون .

ويؤكد كل من المؤرخين الغربيين المعاصرين بولس الشماس ، وإينهارد ، أن الآفار من عنصر الهون (٢) .

وقد أخذ عدد كبير من المؤرخين المحدثين بهذا الرأى منهم على سبيل المثال ، جيبون ، دنلوب ، بيورى ، باركر ، بيسكر ، بريبه ، وموص (٣) .

---

(1) Menander : Agathias Continuatus, fragments, in Historici Graeci Minores, ed. by L.Dindorf, Vol 11,Leipzig,1871, frag.4.
- Theophylactus Simocatta: Historiae, ed. by C. De Boor, Leipzig, 1887,V11,P.8.

(2) Paul the Deacon: History of the lombards, PP.50,67. Einhard and Notker the Stammerer, Two lives of Charlemagne, P.67.

(3) Gibbon E.: The Decline and fall of the Roman Empire, London,1976, Vol 4, P. 291.
- Dunlop : The History of the Jewish Khazars, U.S.A., 1967, PP. 5-6.
- Bury : History of the Later Roman Empire, U.S.A.,1958, Vol II, P.314.
- Barker : Justinian and the later Roman Empire,P.197.
- Beisker : The Expansion of the Slavs, C.Med.H.Vol II, ed. Bury, Cambridge, 1976,P.436.
- Brehier L.: Vie et mort de Byzance Paris, 1969,P.40.

موص : ميلاد العصور الوسطى ٣٩٥ — ٨١٤ ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، مراجعة د . السيد الباز العرينى ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٣٥٤ .

وإذا رجعنا الى كتاب (الإدارة الامبراطورية) De Administrando Imperio للإمبراطور قسطنطين السابع (٩٤٤ ـ ٩٥٩م) الذى عرض فيه لمختلف الشعوب والقبائل التى عرفت فى عصره والعصور السابقة له ، نجد أنه لا يدلى برأى قاطع عن أصل الآفار ولا عن موطنهم الأصلى ، فهو يقول : " والجبيد اى الذين انقسموا فيما بعد الى اللومبارديين والآفار "(١) . ثم يقول : " وعند ما جاء أتيلا ملك الآفار "(٢). والمعروف ان أتيلا هو ملك الهون ، فهل فى ذلك إشارة من قسطنطين السابع الى أن الآفار من عنصر الهون ؟

لا نستطيع ان نجزم بذلك ، خاصة وأنه عاد يقول : " ... ووجدوا أمه سلافية غير مسلمة كانت تسمى بالآفار " وفى موضع آخر يقول : " واعتقد سكان الجانب الآخر من النهر وهم السلاف أو الآفار "(٣) .

وهكذا لم يدل الإمبراطور قسطنطين السابع برأى قاطع فى أصل الآفار .

وللمؤرخ أرنولد توينبى رأى فى أصل الآفار عرضه فى كتابه (قسطنطين السابع وعالمه) ، ذكر انهم شعب بدوى أوراسى (أوروبى ـ آسيوى) . Eurasian nomad People(4).

---

(1) Constantive Porphyrogenetus: De Administrando Imperio, ed-Bonn, C.S.H.B., Chapter 25.
(2) Ibid : Chapter 20.
(3) Ibid : Chapter 29.
(4) Toynbee A. : Constantive Porphyrogenitus and his World, London, 1973, P. 621.

ولم نعثر في المصادر أو المراجع التي رجعنا اليها على ما يؤيد هذا الرأي ، وفي الوقت نفسه أرجع بعض المؤرخين ، الآثار الى العنصر التركي المغولي ، منهم أوبولنسكي Obolensky ، هوبتمان Hauptmann ، والعريني (١) .

أما المؤرخان فازيلييف Vasiliev ، وبنتر Painter ، فقد أرجعا الآثار الى الأصل التركي (٢) دون تحديد People of Turkish origin وينسبهم المؤرخون هوسيج Haussig ، هويت Hoyt ، شود ورو Shodorow ، وسيليجر Seeliger ، الى جبال ألطاي (٣) في منغوليا ويقولون انهم شعب بدوي ألطائي (٤) nomadic Altaic People.

---

(1) Obolensky: The Empire and its Northern Neighbours 565-1018, in C.Med.H.Vol IV,part I, ed.Hussey P.476.
Hauptmann: les Rapports des Byzantins ovec les Slaves et les Avars Pevdant la Second moitie du VI Siécle. dans (Byzantion) tome IV,1927-1928,P.148.
العريني : المغول ، ص ١٠ .
(2) Vasiliev: op.cit., P.171.
Painter : A History of the Middle Ages 284-1500,London, 1979,PP.35,78.

(٣) جبال ألطاي أو جبال الذهب ، هي مجموعة من السلاسل الجبلية المرتفعة التي تمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي على امتداد الحافة الغربية للهضبة المرتفعة الواقعة الى الشمال الغربي من منغوليا ، ويبلغ طولها حوالي السبعمائة ميل ، ويصل ارتفاعها الى اثني عشر ألف قدم ، ويقع بين هذه الجبال سهول شاسعة يتراوح ارتفاعها بين خمسة آلاف الى ستة آلاف قدم ، راجع : العريني : المغول ، ص ص ٥ ـ ٦ .

(4) Haussing: A History of Byzantine Civilization, trans. from the German by Hussey, London,1971,P.93.
Hoyt & Shodorow: Europe in the Middle Ages Third Edition, U.S.A., 1976,PP.4,120.
Seeliger G.: Conquests and Imperial Coronation of Charles The Great, in C. Med. H.Vol II,ed.Bury, P.508.

وهكذا نجد أن الغالبية من المؤرخين يكادوا يجمعون على أن الآفار من عنصر الترك . والأرجح أنهم ينتمون الى العنصر التركى الهونى ، وذلك استنادا الى ما ذكره المؤرخون المعاصرون ، ميناندر ، ثيوفيلاكتوس ، بولس الشماس ، وإينهارد . خاصة وأن عددا من كبار المؤرخين المحدثين قد أخذوا بهذا الرأى ، كما سبقت الإشارة. ويجمع المؤرخون الذين سبق ذكرهم على أن الموطن الأصلى للآفار هو وسط آسيا ، وأنهم فروا منها تحت ضغط الترك .

وقد استقر الآفار منذ أواسط القرن السادس الميلادى عند سفوح جبال القوقاز ، حيث وجد أيضا عنصر اللان Alani ، وهناك سمعوا للمرة الأولى عن عظمة وثراء الإمبراطورية الرومانية الشرقية ، التى كان يحكمها فى ذلك الوقت الإمبراطور جستنيان (٥٢٧ ــ ٥٦٥ م) ، وعن طريق وساطة أمير اللان ، ويدعى ساروسيوس Sarosius سعوا الى بيزنطة فجرى أول إتصال بين الآفار وبين الإمبراطورية فى عام ٥٥٨ م ، حيث أرسلوا إليها سفارة على رأسها أحد هم ويدعى كانديش Candish ، وفى طريقهم الى القسطنطينية مروا بإقليم لازيقا Lazica على ساحل البحر الأسود ، حيث سمح حاكمها البيزنطى بمواصلة طريقهم الى العاصمة البيزنطية ، وهناك تجمع أهالى القسطنطينية يحفزهم الفضول وتملأهم الرهبة لمشاهدة هؤلاء الرسل ذووا الملامح الهونية .

ولما سُمح لهم بلقاء الامبراطور جستنيان ، أخذوا يقصون عليه أنباء انتصاراتهم ، وجيوشهم التى لا تقهر ، وطلبوا مطالب كثيرة ، منها أراضى ، وهبات ، وهدايا ، وجزية سنوية ، وأورد المؤرخ ميناندر نص حديثهم للامبراطور ، قالوا : " أيها الملك العظيم ، أنت ترى أمامك ، ممثلين لأقوى وأكبر الأمم ، التى لا تقهر ، جئنا لنعرض عليك ان نكرس جهودنا لخدمتك ، فبوسعنا القضاء على جميع الأعداء الذين يقلقون

راحتك . ولكننا نتوقع أن يكون ثمن تحالفنا ، وجزاء شجاعتنا ، هدايا ثمينه ، وإعانة مالية سنوية ، وأراضي خصبة " (١) .

وتمشيا مع السياسة السليمة التي سار عليها جستنيان في السنوات الاخيرة من حكمه ، بعد أن خوت خزائن الإمبراطورية من الأموال نتيجة استنزافها في حروبه من أجل إستعادة ولايات الإمبراطورية الرومانية المفقودة في الغرب الأوروبي ، وفيما كان يدفعه من أموال للفرس لشراء السلام على الجبهة الشرقية ، الى جانب الإنشاءات العديدة والعمائر الكبيرة التي شيدها ، سواء منها ما أقامه في القسطنطينية أو خارجها ، أو التحصينات العسكرية التي أقامها على الجبهة الشمالية في محاولة لصد غارات العناصر المتبربرة على حدود الإمبراطورية (٢) . لذلك قرر الإمبراطور جستنيان شراء صداقة الآفار ، وأبلغ مجلس الشيوخ Senato بذلك ، موضحا أن هدفه هو حماية الجبهة الشمالية من غارات العناصر المتبربرة عليها . وكان من رأيه أنه سواء إنتصر الآفار على هذه العناصر أو هزموا منها ، فان الإمبراطورية سوف تستفيد (٣) .

ولم توضح المصادر ماهية هذه الإستفادة التي سوف تجنيها الإمبراطورية من إنتصار الآفار أو هزيمتهم ، والغالب أن استفادة الإمبراطورية من إنتصار الآفار على

---

(1) Menander: Fragment 4.
Gibbon : The Decline and Fall, Vol 4, P.222.
Bury : History of the later Roman Empire, Vol 2, P. 315.
Hauptmann: Les Rapports, P.146.

(٢) عن كل ما يتعلق بالإمبراطور جستنيان وعصره راجع :
إسمت غنيم : إمبراطورية جستنيان ، الإسكندرية ، ١٩٨٢ .

(3) Obolensky : op.cit., PP. 476 - 477.

العناصر المتبربرة على الجبهة الشمالية للإمبراطورية هو وقف تدفق سيل هذه العناصر على جبهة الدانوب ، وقيام الآفار بدور حماة هذه الجبهة كمحالفين للإمبراطورية . أما في حال هزيمة الآفار ، فسوف تتخلص الإمبراطورية من عدو جديد طامع فيها . وعلى أية حال فقد تم عقد تحالف Foedus بين الإمبراطورية والآفار في نفس العام ٥٥٨ م ، وتعهد فيه الآفار بالخضوع للإمبراطور وقتال أعدائه ، مقابل الجزية السنوية . وقد غمر الإمبراطور جستنيان رسل الآفار بعطفه وكرمه ، وقدم لهم الكثير من الهدايا ، تمثلت في الثياب الحريرية ، والحلى الذهبية ، والفرش الوثير ورحل الرسل عائدين الى بلادهم وهم يشعرون بالرضا والسعادة (١) .

وقد لعب الآفار دورهم كحلفاء إمبراطوريين Imperial Foederati بهمة واقتدار ، وأخذوا في غزو أعداء الإمبراطورية في المنطقة الواقعة بين جبال القوقاز وجبال الكربات ، فدمروا إمبراطورية الانتاى Antae — بين جبال الكربات ونهر الدونتس Donets — واستعبدوهم ، وشنوا الحرب على العناصر ذات الأصل الهونى مثل السابيرى Sabiri — على الشاطئ الغربى للكاسبيان — وهزموهم ، وحاربوا بنجاح ضد عناصر البلغار — بين جبال القوقاز ونهر الدون — والأتيجور Utigurs ، والكوتريجور Kotrigurs ، وهما من عنصر الهون وكانا يعيشان على شواطئ نهر آزوف — وفي عام ٥٦٢ م . قاموا بغزوة كبيرة في وسط أوروبا وظهروا عند جبال الالب Elbe ، وهددوا ماركيات مملكة الفرنجة في أوستراسيا Austrasia .

وهكذا وفي أقل من عشر سنوات كانت معسكرات الآفار تستقر على ضفاف نهر الدانوب وجبال الالب وقد زالت ومحيت من على وجه الأرض العديد من القبائل الصقلبية والبلغارية

---

(1) Obolensky : op.cit. P.477.

أما من بقى من هذه القبائل فقد خضعوا لسيطرة وحكم الآقار ، وتعهدوا بدفع الجزية السنوية لهم رمزا للخضوع والتبعية (١) .

على ان علاقات الآقار بالإمبراطورية البيزنطية أخذت تدخل فى طور أكثر خطورة ، ذلك أنه فى نفس العام ٥٥٨م . أرسل خاقان الآقار (يسمى الخاقان أو الخان) ويدعى بجان Bajan ، سفارة الى القسطنطينية ، يطلب من الإمبراطور جستنيان السماح لهم بعبور الدانوب والاستقرار فى إقليم بانونيا Pannonia ، وقد علم الإمبراطور سرا ، عن طريق أحد رسل الآقار ، أنهم يضمرون الشر والخيانه ، وأنهم سيعبرون الدانوب ، سواء قبل الإمبراطور أو رفض ، لذلك عمل على عرقلة رسلهم ، وأعطى تعليماته الى حاكم ميزيا Moesia ، وسكثيا Scythia ، بالعمل على تقوية الدفاع على نهر الدانوب (٢) ، ثم سمح للرسل بالانصراف ومنحهم الهدايا المعتادة ، والأموال التى استخدموها فى شراء الملابس والأسلحة من القسطنطينية . وقد رأى الإمبراطور أنه ليس من السياسة فى شئ رفض بيعها لهم ، لكنه أرسل تعليماته سرا الى جستين ، الوالى البيزنطى لمدينة قولخيس Colchis ، على ساحل البحر الأسود الى الشمال الشرقى من طرابيزون ، أن يستولى على أسلحة الآقار حينما يمرون عبر إقليمه فى طريقهم الى بلادهم ، وقد نفذ جستين أوامر الإمبراطور (٣) . وكانت هذه

---

(1) Menander : Fragment 5.
Theophylactus Simocatta, VII, P.6.
Gibbon : op.cit, Vol 4, P. 292.
Bury : op.cit, Vol II, P. 315.
Obolensky: op.cit, P. 477.
Hauptmann: Les Rapports, P. 146.
(2) Menander : Fragment 5.
(3) Bury : Later Roman Empire, Vol II, PP.315-316.

الحادثة بداية العداء بين الآفار والإمبراطورية البيزنطية ، ولم يمتد العمر بالإمبراطور جستنيان لكى يرى النتائج التى ترتبت على هذه الحادثة ، لكن لم يمض الكثير من الوقت على وفاته فى عام ٥٦٥ م . حتى قاد بجان خاقان الآفار ، قومه وعبروا الدانوب ، حيث أمنوا لأنفسهم البقاء فى ولايات البلقان ، التى منيت على أيديهم بالكوارث فى الأعوام الستين التالية ، كما يتضح ذلك من عرضنا على الصفحات التالية .

خلف جستنيان على العرش ، الإمبراطور جستين الثانى (٥٦٥ ـ ٥٧٨ م) الذى ورث ضمن ما ورثه عن جستنيان ، عداء الآفار المتزايد ، فبعد أيام قليلة من اعتلائه العرش ، إستقبل جستين الثانى سفارة من الآفار ، وتمشيا مع سياسته تجاه أعداء الإمبراطورية المختلفين ، التى تتسم بالكبرياء والأنفة ، رفض جستين الثانى المضى فى سياسة سلفه جستنيان ، القائمة على شراء السلام من الأعداء ، ورفض دفع الجزية السنوية للآفار (1) . وهكذا منحهم الفرصة لكى يظهروا عداءهم واضحا للإمبراطورية ، خاصة بعد أن أصبحوا قوة يحسب حسابها فى ذلك الوقت .

ذلك أن الآفار أخذوا فى القيام بدور نشط فى منطقة وسط أوروبا ، وكان اللومبارديون والجيبداى Gepidae ، حتى ذلك الحين ، هما القوتان الأساسيتان على حدود الدانوب وفى منطقة بانونيا ، لكن دخول الآفار الحومة غير الموقف من أساسه ، فقد ازدادت العلاقات سوءا بين اللومبارديين والجيبداى ، واشتعلت الحرب بينهما ، واضطر ملك اللومبارديين ألبوين Alboin أن يطلب

---

(1) Menander : Fragment 14.
John of Ephesus : Ecclesiastical History translated from syriac by Payne-Smith, Oxford, 1860, Part VI, P. 24.

المساعدة من الآفار ، وعقد مع الخاقان بجان معاهدة تحالف ، تعهد فيها ألبوين بدفع عشر ما يملكه اللومبارديون من الماشية للآفار ، مقابل مساعدتهم له في الحرب ضد الجيبداي ، وأن يستولى الآفار على أراضي الجيبداي في حال الانتصار عليهم (١) .

وقد قام الآفار من جانبهم بمهاجمة الجيبداي من ناحية الشمال الشرقي ، على حين هاجمهم اللومبارديون من ناحية الشمال الغربي ، وفي المعركة التي دارت على ضفاف نهر الدانوب ، ذبح قونيموند Kunimund ملك الجيبداي على يد ألبوين ملك اللومبارديين وهرب عدد من الجيبداي ووقع الباقون منهم تحت سيطرة الآفار ، خاصة أولئك الذين تمسكوا بالبقاء في أراضيهم ، واستولى الآفار على أراضي الجيبداي تحقيقا لاتفاقهم السابق مع اللومبارديين (٢) .

وهكذا أصبح اللومبارديون في محنة قاسية ، إذ تعرض استقلالهم لتهديد الآفار ، بعد أن أصبح هؤلاء مجاورين لهم من الناحية الشمالية الشرقية ، وبعد أن استولى الآفار على أراضي الجيبداي ، وبدا وكأن اللومبارديين لم يفعلوا شيئا أكثر من أنهم استبدلوا عدوا بعدو آخر ولهذا فقد أقدموا على الهجرة أو ما يعتبر المرحلة الأخيرة في هجرتهم ، فانطلقت جموعهم في عام ٥٦٨م بقيادة زعيمهم ألبوين الى الاراضي

---

(1) Paul The Deacon : History of the Lombards PP.50-52.
Hartmann : Italy under the Lombards, in C.Med. H.ed Bury, vol II,1976,P. 195.
Hauptmann : Les Rapports, PP. 130,150.
Brehier : Vie et mort de Byzance,P. 47.

راجع أيضا :
محمد السيح : اوروبا العصور الوسطى ، الاسكندرية ، ١٩٩١ ، ص ٢٠٨ .
اسامة زيد : اللومبارديو وعلاقاتهم بالقوى المجاورة ، ص ١٢ .

(2) Hartmann : Italy under The Lombards, P.195.
Baynes : The Successors of Justinian C.M. ed.H.vol II, ed. Bury, P. 266.

الإيطالية ، فاجتازوا جبال الالب واخترقوا إيطاليا ، ونجحوا في الاستقرار في السهول الشمالية الفسيحة ، دون مقاومة تذكر وأقاموا دولتهم في تلك البلاد (1) . وهكذا كان للآفار دور هام في هجرة اللومبارديين وفتحهم لشمال إيطاليا واستقرارهم هناك .

بعد رحيل اللومبارديين الى إيطاليا ، احتل الآفار أراضيهم ، وبذلك بسطوا سيطرتهم على كل السهل الهنغاري وأصبحوا قوة مسيطرة في وسط أوروبا ، وسادة إمبراطورية امتدت من بوهيميا الى الدانوب الأدنى ، ومن جبال الالب الى السهول الجنوبية لروسيا ، وتمركزوا في وادي نهر تيس Theiss (Tisza) — في وسط اوروبا — وأدى ذلك بطبيعة الحال الى تغيير ميزان القوى في هذه المنطقة (2) .

لم يكن منتظرا بعد كل ما بلغه الآفار من قوة ، أن يقبلوا رفض الإمبراطور جستين الثاني دفع الجزية السنوية لهم ، ومن ثمة بدأ الآفار في تهديد ممتلكات الإمبراطورية في إقليم تراقيا ، فأرسل اليهم جستين الثاني الجيش في عام ٥٦٩ م . بقيادة طيبريوس — الذي صار إمبراطورا فيما بعد — والتقى بهم في إقليم تراقيا وأحرز الانتصار عليهم (3) . ولم يلبث الآفار ان ركزوا إهتمامهم على مدينة سيرميا Sirmium التي تقع في شمال إقليم الليريا ، والتي تمتعت بمركز إستراتيجي ممتاز والتي تعتبر مفتاح التحصينات البيزنطية في هذه المنطقة ، وهذا ما دفع خاقان الآفار بجان الى فرض الحصار بهدف الاستيلاء عليها حتى يفتح الطريق أمامه للوصول الى باقي التحصينات البيزنطية في هذه المنطقة .

---

(1) Hartmann : op.cit, P. 196.
Brehier : op.cit, P. 47.
محمد الشيخ : أوروبا العصور الوسطى ، ص ٢٠٨ .
أسامه زيد : اللومبارديون ، ص ص ١٢ — ١٣ .

(2) Obolensky: The Empire and its Northern Neighbours, PP.477-478.
Brehier : Vie et mort de Byzance, P. 47.

(3) Johannis Biclarensis: Chronica, Chronica Minora, ed. by Th. Mommsen Berlin, 1894, vol II, P.212.

وقد صمدت المدينة فى وجه الآفار ، وأرسل الإمبراطور جستين الثانى قائده طيبريوس فى عام ٥٧٤م · مرة ثانية لحرب الآفار ، ولكنه هزم أمامهم هذه المرة، واضطر الإمبراطور جستين الثانى الى أن يعقد معهم تحالفا مقابل تعهد ، بدفع جزية سنوية تقدر بثمانين ألف نوميسماتا · (١)

وقد حاول الامبراطور طيبريوس الأول (٥٧٨ ــ ٥٨٢ م) استغلال هذا التحالف مع الآفار ، واستخدامهم فى كبح جماح السلاف ، الذين كانوا قد عبروا الدانوب فى فترة مبكرة من القرن السادس الميلادى ، وانتشرت غاراتهم فى بلاد البلقان ، مسببة فزعا هائلا لأهالى القسطنطينية ذاتها ·

وحسب رواية المؤرخ ميناندر ، فإن الإمبراطور طيبريوس أرسل مندوبا عنه ، قاد ستين ألفا من الفرسان الآفار الى والاشيا ، حيث هاجموا السلاف ، ونهبوا أراضيهم ، واخضعوهم لسيادتهم ، والجدير بالذكر أنه منذ ذلك الحين ، أصبح السلاف من رعايا الآفار ، وأصبحت غارات هذين الشعبين غارات مشتركة · (٣)

(٢)

---

(1) Menander : Fragment 34·
Obolensky: op·cit, 476·
Brenier : op·cit, PP· 47-46·
Hauptmann: Les Rapports, P· 160·
والجدير بالذكر أن النوميسماتا هى عملة ذهبية بيزنطية ، كانت تساوى واحدا على اثنين وسبعين من الرطل من الذهب ، وكانت النوميسماتا تنقسم الى ١٢ ميلياريسيا ، التى تنقسم بدورها الى اثنى عشر فلسا ، انظر :

Runciman : Byzantine Civilisation, Seventh impression, 1975, P· 174·

(2) Menander : Fragment 64·
John of Ephesus, VI, P· 24·

(3) Vasiliev : op·cit, Vol I, PP· 176, 196·
Toynbeé : op·cit, P·633 N 6·

على ان الآفار مالبثوا أن نقضوا هذا التحالف مع طيبريوس ، وعادوا لمحاصرة مدينة سيرميا ، وقد اقترح الامبراطور طيبريوس أن يزوج ابنته من خاقان الآفار بجان ، مقابل تخليه عن أطماعه فى سيرميا . لكن بجان الذى كان يدرك تماما مدى انشغال الامبراطور طيبريوس فى الحرب ضد الفرس ، رفض عرض الامبراطور ، واستمر محاصرا للمدينة ثلاث سنوات (٥٧٩ ـ ٥٨٢ م) واستولى على المناطق المحيطة بها ، ثم استسلمت المدينة ذاتها فى النهاية للآفار فى ٥٨٢ م . قبل موت طيبريوس بزمن وجيز .(١)

وهكذا سقط هذا الحصن الهام فى يد الآفار ، وأصبحت أنهار الساقا ، الدراقا ، والدانوب تحت سيطرة الآفار كما أصبح خاقان الآفار هو السيد الجديد لمنطقة البلقان ، أما أهالى هذه المنطقة فقد كانوا تحت رحمته تماما ، ونقتبس فقرة مما ذكره المؤرخ ميخائيل السريانى (٢) Michel le Syrien لندرك مدى معاناة الأهالى فى هذه المنطقة اذ قال :(٣)

---

(1) Menander : Fragment 65.
- Theophylactus Simocatta : I, ch. 3,PP.44-45.
- Theophanes: I , P. 270.
- Lemerle : Invasions et migration des les Balkans, depius l'epouque Romaine Jusqu'au VIII e Siécle,Revue Historique, vol CCXI,1954,P. 289.
- Obolevsky : op.cit. P.460.
- Hauptmann : Les Rapportes, P. 160.
- C.Med.H.vol II, Part I, ed. Hussey, P. 66.

(2) Chabot, la chronique de Michel le Syrien, paris,1899-1904, X, P. 21.

(هوجم الروما ن من جديد ، بواسطة شعب متبربر لعين ، ورجال ذوى شعور مشعثه ،
قدموا من الشرق الأقصى ، يسمون بالآقار ، وكذلك هوجم الروما ن على يد شعب آخر جاء
من الغرب هم السلاف ، وأيضا من أولئك المعروفين باسم اللومبارديين ، كل هؤلاء كانوا
تحت سيادة الخاقان أو ملك الآقار ، اذ حاصروا مدن الرومان وغيرها من الحصون ،
وقالوا للأهالى " إرحلوا عن بلادكم ، إزرعوا واحصدوا ، ونحن فقط الذين نأخذ
محصولكم " .) .

من هذا يتضح مدى معاناة الأهالى فى منطقة البلقان من جراء هذه الغارات
المدمرة ، والتى إستمرت بنفس العنف حتى توفى الإمبراطور طيبريوس فى ٥٨٢ م ، وخلفه
الإمبراطور موريس (٥٨٢ _ ٦٠٢م) ، وفى السنة الاولى من حكم هذا الأخير (٥٨٢_
٥٨٣ م) قام الآقار والسلاف بغارة كبيرة ، وصلوا فيها الى القسطنطينية ذاتها ،
وحاصروا سور انستاسيوس خارج العاصمة ، كما أغاروا على الممتلكات البيزنطية فى
البلقان ، واستولوا على مدينة سينجيدنوم Singidunum (بلغراد
الحاليه) ، على نهر الدانوب ثم ساروا شرقا ، واستولوا على مدينة انخيالوس
Anchialus المطلة على البحر الأسود الى الغرب من مدينة القسطنطينية ،
ونزلوا جنوبا وهاجموا بلاد اليونان .

وقد عرض لهذه الغارة الكبيرة عدد من المؤرخين المعاصرين وتناولها بعضهم
بصفة عامة ، مثل يوحنا بيكلارنسيس الذى قال : إن السلاف انتشروا فى مدن كثيرة فى (١) "

(١) النص اللاتينى هو :
" Sclavini in Thracia multas urbes Romanorum
Pervadunt .... Avares Thracias Vastant et regiam urbem
a muro longo obsidert".
Johannis Biclarensis, chronica, vol II, P. 215.

ترافيا ، ونهبوها ، ثم تركوها وهى خاوية ... ونهب الآفار ترافيا وحاصروا ســـور القسطنطينية العظيم ».

وذكر ميناندر هذا المعنى نفسه ، وبأن عدد الغزاة من الآفار والسلاف وصل الى المائة ألف رجل ، حين هاجموا ترافيا وبلادا أخرى كثيرة (١).

اما يوحنا الافسوسى (٢) فقال عن هذه الغارة (٥٨١ ـ ٥٨٣م) ما يلى :

" تغلب شعب لعين يسمى بالسلاف ، على كل بلاد اليونان ، وإقليم تساليا وتراقيـــا ، واستولوا على المدن وعلى العديد من الحصون ، ونهبوها واحرقوها ، واستعبـــدوا أهاليها ، ونصبوا أنفسهم سادة على كل الاقليم ، واستقروا فيه بالقوة ، وتصرفوا فيه كما لو كان ملكا خاصا بهم ، دون خشية الله ، لأن الملك (الإمبراطور البيزنطى) كـــان مشتبكا فى الحرب مع الفرس ، وأرسل كل جيشه الى الشرق ، وقد عاشوا فى الإقليم فـــى أمان تام ، واستقروا فيه ، وانتشروا قريبا وبعيدا كما لو أن الله قد أباحه لهم ، ونهبـــوا وأحرقوا وأخذوا الأسرى ، وامتدت غاراتهم حتى وصلت الى السور الخارجى للمدينـــة (القسطنطينية) وشتتوا قطعان خيل الإمبراطورية وكان عددها يقدر بالآلاف ، كمـــا فعلوا الشئ نفسه مع كل ما وجدوه فى طريقهم ".

وإن كان يوحنا الافسوسى قد ذكر أن السلاف هم الذين قاموا بهذه الغارة ولـــم يذكر شيئا عن الآفار ، الا أن الثابت أن السلاف فى هذه الفترة الزمنية (٥٨١ ـ ٥٨٣م)

---

(1) Menander : Fragments 47, 48.
(2) John of Ephesus : Ecclesiastical History Part III, translated from Syriac by Payne-Smith, Oxford, 1860, PP. 432-33.

كانوا من رعايا الآفار ، وتحت سيادتهم ، وكانت غاراتهم غارات مشتركة ، كما سبق أن أوضحنا .

وقد عرض المؤرخ المعاصر أفاجريوس لهذه الغارة أيضا فقال عنها:(١) " قام الآفار بهجوميين على سور انستاسيوس ، واستولوا على سينجيد ونوم ، إنخيالوس وكل الهيلاس ، والمدن والحصون الأخرى ، واستعبدوا السكان ، وضربوا وأحرقوا كل شئ صادفوه فى طريقهم " .

وهناك دليل أثرى يؤكد غزو الآفار والسلاف فى هذه السنة ٥٨١ ـ ٥٨٣م لبلاد اليونان ، وهذا الأثر يتمثل فى وجود تخريب فى سور أثينا يرجع تاريخه Circa الى العام ٥٨١ ـ ٥٨٣م ، مازال باقيا حتى اليوم .(٢)

والجدير بالذكر أن أفاجريوس استعمل كلمة الهيلاس Hellada فى نصه ولا ندرى ماذا يقصد بالهيلاس على وجه التحديد ، هل يقصد بلاد اليونان ؟ واذا كان يقصد بلاد اليونان فهل يقصد بها شبه جزيرة تساليا فقط ، أم تمتد لتشمل أيضا شبه جزيرة البلوبونيز ؟

لقد قام المؤرخ كارانيس Charanis بعمل دراسة وافية شيقة ، أوضح فيها استخدام كلمة الهيلاس Hellada فى أعمال المؤرخين البيزنطيين خلال القرون الميلادية السادس والسابع والثامن ، أمثال بروكوبيوس Procopius أجاثياس Agathias ، ميناندر Menander ، افاجريوس Avagrius مالالاس Mallalas ، الامبراطور جستنيان فى قوانينه

---

(1) Evagrius : Historia Ecclesiastica , VI,Ch.10.
(2) Toynbeé : op.cit., P. 634.

الجديدة Novellae ، يوحنا الأنطاكى John of Antioch ابصريرت
نقفور Nicephorus Patriarchae ، ثيوفانيس Theophanes
وغـيرهم .

وقد أثبت كارانيس من خلال دراسته هذه ، أن بروكوبيوس حين ذكر كلمة الهيلاس Hellada ، فانه كان يعنى أقاليم بلاد اليونان القديمة ، وعلى وجه التحديد الاقليم الذى يقع جنوب ثرموبيلاى Thermopylae (Boudonitza) فى اقليم تساليا ، ويشمل أيضا شبه جزيرة البلوبونيز Ploponnesus ، وأن المؤرخين الذين جاؤا بعد بروكوبيوس قد أخذوا عنه هذا التعريف لكلمة الهيلاس .(1)

لذلك فما عناه المؤرخون ــ خاصة ميناندر ، افاجريوس ، وثيوفانيس ، ببلاد اليونان التى خربها الآفار والسلاف انما هى بلاد اليونان بما فيها البلوبونيز أيضا .

وعلى أثر هذه الغارة المدمرة التى قام بها الآفار ضد ممتلكات الامبراطورية فى عام ٥٨٢ ــ ٥٨٣ ، إضطر الامبراطور موريس لشراء السلام منهم ، بدفع مبلغ كبير من المال علاوة على الجزية السنوية المعهودة .(2) لكن الآفار لم يخلدوا للسكينة فى الفترة التالية بل هددوا السلام فى عام ٥٨٦ ــ ٥٨٧ م . حين قاموا هم ورعاياهم السلاف بغارة أخرى كبيرة ، شملت الأقاليم التى تقع جنوب مؤيزيا Moesia وسكثيا Scythia ،

---

(1) Charanis P. : Hellas in the Greeke Sources of Six th, Seventh, and Eighte centuries, in late Classical and Medieval Studies in Honor of Albert Mathias Friend, princeton university press, 1953,PP.161 - 173.
(2) Hauptmann : Les Rapportes , P. 157.

ثم حاصروا المدينة الهامة سالونيك في ٢٢ سبتمبر ٥٨٦ ، ولمدة سبعة أيام ثم رفعوا الحصار عنها وهاجموا بلاد اليونان (الهيلاس) .(١)(٢)

وقد أقدم خان الآفار على تصرف خطير ، كانت له نتائج بعيدة المدى ، بالنسبة لتوزيع الخريطة السكانية في منطقة البلقان وبلاد اليونان قاطبة . فقد أخذ خلال غزواته في أعوام ٥٨٢ــ ٥٨٣ ، ٥٨٦ ــ ٥٨٧م . في إجبار السكان الأصليين من اليونان والرومان على الرحيل ، وأحل محلهم عناصر أخرى من رعاياه السلاف ، وسجل ذلك كل من المؤرخين افاجريوس ، يوحنا الإفسوسي ، ويوحنا بيكلارنسيس .(٣)

وقد تابع خاقان الآفار هذا الاسلوب فيما قام به بعد ذلك من غزوات ، وكان السكان الأصليون من اليونان والرومان يفرون أمام غزوات الآفار لمنطقة البلقان وبلاد اليونان ، بينما تكفل الخاقان بنقل الباقين منهم وابعادهم عن أوطانهم ، واعادة توطين سكان جدد من رعاياه في هذه الاماكن .

والأرجح أن الدافع لهذا التصرف الخطير ، هو رغبة الخاقان في إحتلال هذه المناطق إحتلالا دائما ، فضلا عن تأمين حدود امبراطوريته الشاسعة لا سيما وأن المنطقة

---

(١) تعتبر مدينة سالونيك ، المدينة الثانية في الامبراطورية البيزنطية بعد القسطنطينية ، وأهم قاعدة للاسطول البيزنطي في البحر الايجي ، ومرفأ لاصلاح السفن التي يصيبها التلف ، وهي عاصمة أقليم مقدونيا .
عن كل ما يتعلق بسالونيك ومميزاتها ونشاطها التجاري راجع :
اسمت غنيم : الامبراطورية البيزنطية وكريت الاسلامية ، دار المعارف ، الاسكندرية ١٩٨٣ ، ص ص ١٩٣ ــ ١٩٥ .

(2) Evagrius : VI, Ch. 10.
Theophylactus Simocatta : I, P. 52.
Theophanes : P. 253.

(3) Evagrius : VI, Ch. 10.
John of Ephesus : Ecclesiastical History, PP.432-433.
Johannes Biclarensis : Chronica, 215.

الواقعة شمالي البلقان وحتى سيرميا كانت منطقة حيوية بالنسبة له ، حيث أنها تعتبر رأس الجسر لعبور الدانوب والوصول الى إمبراطوريته .

ولم يتخل الخاقان عن سياسته هذه ، بل تابعها في السنوات التالية ، وتتضح هذه السياسة بصورة أوضح من خلال عرضنا التالي للحوادث .

فقد استغل الآفار انشغال الامبراطور موريس في الحرب ضد الفرس ، وأخذوا يعيثون فسادا هم ورعاياهم من السلاف وباقي العناصر الأخرى الخاضعة لهم ، في إقليمي تراقيا ومقدونيا ، وفي عام ٥٩٢ م . تمكن الامبراطور موريس من عقد الصلح مع الفرس وهيأ له ذلك الالتفات الى جبهة الدانوب ، فنقل قواته الى هناك ، وعهد الى قائده بريسقوس priscus بالعمل على ايقاف غارات الآفار والسلاف هناك . ورغم جهود بريسقوس لتحقيق هذا الهدف ، الا أن الآفار والسلاف تمكنا من الاغارة على المدينة الهامة سالونيك في ٥٩٧ م . ولم ينقذها منهم هذه المرة الا تفشي مرض الطاعون بينهم (١) .

على أية حال نجح بريسقوس في النهاية في إخضاع السلاف واستعاد مدينة سنجيدونوم (بلغراد) من يد الآفار . وفي عام ٦٠٠ م ، جرى عقد الهدنة مع الآفار وثبتت حدود الامبراطورية على نهر الدانوب ، وتعهد موريس بزيادة الجزية السنويه لهم . غير انه لم يكد يمضي سوى عدة شهور حتى عبر بريسقوس بقواته نهر الدانوب سنة ٦٠١ م . وأشعل الحرب ضد الآفار هناك ، وأنزل الهزيمة الساحقة بقوات الآفار على نهر تيس Theiss (٢) .

---

(1) Theophylactus Simocatta : VII, PP. 6-9.
Baynes : The Successors of Justinian, in C.Med.H.Vol II, P. 296.
Brehier : Vie et mort de Byzance, PP. 50 - 51.
(2) Baynes : op.cit, P. 281.

ولعل من ذلك ما يوضح سياسة بيزنطة التقليدية ، فاذا كانت بيزنطه غير قادرة على خوض غمار الحرب لأى سبب من الأسباب ، كان الامبراطور يتعهد بدفع مبلغ سنـــوى للعدو ، ويسميه العدو جزية سنوية ان شاء ، أما الإمبراطور فلم يكن يرى ذلك المبلـغ المدفوع إلا استثمارا حكيما حتى تتحسن الظروف ويصبح قادرا على القتال ، وعندئـــذ يتوقف عن الدفع ويخوض الحرب ، فاذا انتصر توقف نهائيا عن الدفع ، اما إذا هزم فانـه يعود ليدفع من جديد ، فى انتظار جولة اخرى (1) .

على أية حال فمن الواضح أن الإنتصار الذى أحرزه بريسقوس على الآفار فى ٦٠١م . عند نهر تيس ، لم تحرز الامبراطورية البيزنطية مثله منذ زمن جستنيان ، اذ بدا وكـأن الحظ أخذ يتحول الى صف الامبراطورية ، لولا أن الحوادث جاءت على عكس ما يتوقـع موريس ، الذى إستبدت به الحماسه لمواصلة طعرة على الآفار ، فأبى أن يسمح لجنـــده بالعوده الى العاصمة لقضاء فصل الشتاء (٦٠٢م) فتمرد الجند عليه ، ونادوا بأحـــد قادتهم يدعى فوقاس إمبراطورا ، وزحفوا على العاصمة (القسطنطينية) وقتلوا الإمبراطور موريس ، ورفعوا فوقاس الى العرش (٦٠٢ ـ ٦١٠م) . وكان عهد فوقاس كارثه بالنسبة للحدود الشمالية للامبراطورية بل إمتد الخطر خلال السنوات الأولى من حكم هرقـــل (٦١٠ـ ٦٤١م) ، لأن حد التحصينات على الحدود الشمالية ، الذى كان جستنيـان قد بناه ، واصل انهياره آنذاك ، ولم تعد هناك قوات بيزنطية فى ولاية والماشيا بعــد عام ٦٠٤م (2) . فتدفق الآفار والسلاف بأعداد هائلة على منطقة البلقان ، وأخذوا يعيثـون

---

(1) لمزيد عن نظام الدبلوماسية البيزنطية راجع :
Runciman : Byzantire Civilisation, Cambridge, 1975, PP.155-162.

(2) Theopnylactus Simocatta : VIII, PP. 5-6.
Obolensky : op.cit. P. 481.

(3) موسى : ميلاد العصور الوسطى ، ص ٢٢١ .

فسادا في تلك البلاد من البحر الادرياتي حتى بحر ايجة ، وانتشروا في ايلليريا ، والماشيا ، مقدونيا ، ترافيا ، ابيروس ، آخايا ، السيكلاديز ، وقد هوجمت سالونيك اكثر من مرة ، وسقطت سالونا Salona عاصمة اقليم والماشيا في يد الآفار والسلاف في عام ٦١٤ م ، وهرع سكانها الى أسفل التل يلتمسون الحماية داخل أسوار قصر دقلديانوس الضخم ، وهكذا نشأت مدينة سبالاتو Spalato • وحدث الشئ نفسه مع سكان مدينة ابيد وروس Epidaurus ، الذين فروا من مدينتهم واستقروا على ساحل البحر الأدرياتي في المكان الذي عرف فيما بعد باسم راجوزا Ragusa (١) • وقد كتب ايزيدور أسقف أشبيلية (٢) I Sidore Bishop of

---

(1) Baynes : op. cit., P. 296.

(٢) يسمى بالقديس ايزيدوروس St. I Sidorus ، ولد في اسبانيا وعاش في الفترة من ٥٦٠ ــ ٦٣٦ م • وهو ينتمي الى عائلة نبيلة ، فقد أبويه وهو في سن صغيرة ، فتولى شقيقه الاكبر ويدعى ليندر Leander تربيته وتعليمه ، وكان ليندر يشغل منصب أسقف أشبيلية فكان من الطبيعي أن يوجه ايزيدور الى تعلم اللاهوت • وقد تأثر ايزيدور بآراء القديس أوجسطين (٣٥٤ ــ ٤٣٠ م) والبابا جريجوري الاول (٥٤٠ ــ ٦٠٤ م) • وفي عام ٦٠٠ م أصبح ايزيدور أسقفا لأشبيلية خلفا لشقيقه ، وأخذ على عاتقه نشر المذهب الكاثوليكي بين القوط العربيين ، واليهود الذين كانوا يمثلون جزءا كبيرا من سكان اسبانيا وقد كان لعلمه الغزير وشخصيته القوية اكبر الاثر في أن يصبح زعيما هاما للكنيسة الاسبانية ، ورأس عدة مجامع دينيه في توليدو ، وأطلق عليه معاصروه لقب (آخر آباء الكنيسة الغربية العظماء) •

ومن أهم اعمال القديس ايزيدور تلك الموسوعة الشاملة والتي أطلق عليها اسم Ethymologiae ، ولخص فيها آراء الكتاب المسيحيين الاول في العقيدة المسيحية ، وكذلك كتابات العلماء القدماء في مختلف أنواع المعرفة الانسانية ، وتكمن أهمية هذه الموسوعة ليس فقط في محتواها ، ولكن في كيفية عرض ايزيدور لافكاره ، وقد أصبحت هذه الموسوعة مصدرا هاما للكتاب من أجيال متعاقبة ، وخاصة الذين لم يكن بمقدورهم التعرف على المصادر القديمة (الكلاسيكية) وخاصة المكتوبة باللغة اليونانية • والى جانب هذه الموسوعة الهامة هناك كتابين تاريخيين لايزيدور ، الاول هو (التاريخ الكبير أو الحوليات الكبيرة) Chronica Maiora ، وهو عرض للحوادث التاريخية منذ بدء الخليقة وحتى عام

Seville (١) فى بداية عهد الامبراطور هرقل يقول : " ان السلاف انتزعوا بـلاد اليونان من الرومان " (٢) .

وان كانت هذه المقولة تنطبق على المناطق الداخلية فى شبه جزيرة البلقان ، الا أنها لا تنطبق على المناطق الساحلية المواجهة للبحر الادرياتى والبحر الايجـى ، لان السكان الاصليين انسحبوا تحت ضغط السلاف والآفار نحو المناطق المتاخمة للبحر ، والى الجزر المواجهة له ، وأدى ذلك فيما بعد الى ازدياد العنصر اليونانى وتعوقه علـــى السواحل الجنوبية والشرقية ، على حين عمد العنصر الرومانى الى الاستقرار فى السواحل الغربية ، أما الجانب الاكبر من شبه جزيرة البلقان وخاصة داخلها ، فقد أصبح اقليمـا

---

٦١٥ م ، والكتاب الثانى هو ، (تاريخ ملوك القوط ، والوانداك ، والسويفى)
ويعتبر هذا الكتاب مصدرا هاما لتاريخ اسبانيا منذ سقوط الامبراطورية الرومانيـة القديمة فى ٤٧٦م ، وحتى عصر ايزيدور .
للمزيد عن القديس ايزيدور وأعماله راجع :

Fontaine J.: I Sidore de Seville et la cultvre Classique dans l'espagne wisigothique, 2 vols, 1959.

(١) سيفيل هى مدينة أشبيلية وهى ميناء بحرى هام فى جنوب اسبانيا ، وقد تعرضـت لغزو الوانداك فى اواخر القرن الرابع الميلادى ، ثم استولى عليها القوط الغربيون وفتحها المسلمون فى عام ٧١٢م ، وأصبحت جزءا من ممتلكات خليفة قرطبة ، وبلغت درجة كبيرة من الازدهار ، وأصبح ميناؤها من اكثر الموانئ الاسبانية نشاطا ، وفى عام ١٢٤٨م ، استولى عليها الملك فرديناند الثالث ملك قشتاله ، وواصلـت المدينة ازدهارها ونشاطها التجارى الكبير تحت حكمه .
للمزيد عن سيفيل راجع

O'Callaghan J.F.: A History of Medieval Spain, 1975.

(2) I Sidore of Seville : Chronica Maiora, in Patrologia Latina, LXXX III,col 1056.

صقليا ، وصارت المصادر البيزنطية تشير اليه على انه اقليم الصقالبة Sclavinia .(١)

وفي الوقت الذي كان الآفار يقومون فيه بغاراتهم تلك على شرق أوروبا ، لم يغفلوا أمر ايطاليا وواصلوا تحالفهم مع اللومبارديين ، ففي عام ٥٩١ م . ساعدوا ملكهم اجيلولف Agilulf في الهجوم على الحدود الشمالية الايطالية ، وفي عام ٦٠٠ـ ٦٠١ م ساعدوه ايضا في الاستيلاء على بادوا Padua ، وفي تخريب شبه جزيرة استريا Istria على الساحل الشمالي للبحر الادرياتي ، كما ساعدوه في فتح مدينة مونسليس Monselice ، وفرضوا السلام على دوق فريولي Friuli واحتلوا كريمونا Cremona ، ومانتوا Mantua في عام ٦٠٣م.(٢)

على ان الآفار لم يقيموا بعد ذلك وزنا للمعاهدات المبرمة بينهم وبين اللومبارديين ولم يلبثوا أن أخذوا يشنون غاراتهم على شمال ايطاليا ، فقد حشد خاقان الآفار جيشا كبيرا عام ٦١٠ م . وخرج على رأسه قاصدا الاراضي اللومباردية ، وتوغل في شمال ايطاليا محدثا الخراب والدمار في كل مكان حل به ، ثم اتجه بجيشه الى البندقية ، فتصدى لهم جيسولف Gisulf دوق فريولي ، ولكنه قتل على ايديهم هو ومعظم جيشه ، وفرض الآفار الحصار على دوقية فريولي ، فتولت روميلدا Romilda أرملة جيسولف الدفاع عن المدينة ، ويقال أنها رأت خاقان الآفار أثناء تفقده أسوار المدينة ، فاعجبت به وأرسلت اليه سرا تخبره انه اذا وعدها بالزواج فانها سوف تفتح له بوابات المدينة ، وبالفعل تم الاتفاق بينهما ، وسلمت له المدينة ، وقد أجرى الآفار عمليات نهب وسلب واسعة النطاق لكل بيت من بيوتها ، وحملوا الأهالي أسرى . وقد أوفى

---

(1) Lemerle: Invasions et migrations dans les Balkans, P.303 ff.
Ostrogorsky : op.cit., PP. 93 - 94.
Vasiliev: op.cit., P. 136.

(2) Hartmann : Italy under the Lombards, P. 201.

الخاقان بوعده بالزواج من روميلدا ، ولكن ليوم واحد فقط ، ثم دفع بها الى أتباعه وانتهى بها الأمر الى القتل على أيديهم ، ثم عاد الآفار بغنائمهم الى بانونيا (١) •

ولم تستمر غارات الآفار على ايطاليا طويلا ، وذلك بسبب انشغالهم بتحقيق أهدافهم فى شبه جزيرة البلقان ، وفى العاصمة البيزنطية نفسها •

فقد شهد عصر الامبراطور هرقل (٦١٠ ــ ٦٤١ م) صراعا عنيفا بين البيزنطة من جهة ، والآفار من الجهة الاخرى ، ولا نكون مبالغين اذا قلنا أنه كان صراع حياة أو موت بالنسبة للامبراطورية البيزنطية ، بعد أن فرض الآفار ورعاياهم من السلاف والجيبيداى والبلغار والسيكثيين وغيرهم من القبائل ، الحصار البرى والبحرى على العاصمة البيزنطية وذلك فى عام ٦٢٦ م • عاقدين العزم على الاستيلاء عليها مستغلين انشغال الامبراطور هرقل فى حربه مع الفرس الذين شنوا هجوما عنيفا على الممتلكات البيزنطية فى أرمينية وآسيا الصغرى ومصر ، وبعد أن وصل الفرس الى مدينة خلقيدون Chalcedon على الضفة الآسيوية لمضيق البسفور ، وأصبحوا فى مواجهة العاصمة البيزنطية القسطنطينية •

ورغم صعوبة الموقف بكل أبعاده ، وتأزمه الى درجة خطيرة ، بعد أن أصبحت بيزنطة وجها لوجه أمام العدوين اللدودين طالما ارتعدت منهما ، وهما الفرس والآفار

Paul the Deacon : History of the lombards, PP. 179-180.
Hodgkin : Italy and her invaders, PP. 52- 53,600,744.
Hartmann: Italy under the lombards, P. 203.

محمد الشيخ : أوروبا العصور الوسطى ، ص ٢١٦ •
أسامه زيـــد : اللومبارديون ، ص ص ٢٤ ــ ٢٥ •

الا أن التوفيق الذى حققته بيزنطه فى مواجهة هذين العدوين والانتصار الذى احرزته عليهما ، يرجع الى عبقرية الامبراطور هرقل وخططه العسكرية الناجحه فى مواجهة الفرس والآفار من جهة ، ومن جهة أخرى يرجع الى تلاحم القوى البيزنطية المختلفة من شعب وجيش ونبلاء وكنيسة فى مواجهة هذه الأخطار جميعا .

ويتميز الصراع بين الآفار والدولة البيزنطية فى عهد هرقل بتشابك احداثه مع أحداث الحرب بين البيزنطيين والفرس ، حين وجد الآفار فى هذه الحرب فرصتهم الذهبية لتحقيق اطماعهم والاستيلاء على العاصمة البيزنطية داتها .

ونظرا لأن الحرب البيزنطية الفارسية (١) قد اتسع نطاقها ، وكثرت أحداثها ، واستغرقت فترة زمنية طويلة ، ونظرا لانها ليست الموضوع الرئيسى فى هذا البحث ، لذلك تتم الاشارة اليها سريعا دون الدخول فى التفاصيل ، بما يخدم موضوعنا الرئيسى ويلقى الضوء عليه فحسب .

فقد استأنف الفرس حربهم ضد بيزنطه وتابعوا تغلغلهم فى منطقة الشرق الأدنى ، ورغم ما حققته بيزنطه من انتصار على الفرس فى عام ٦١١ م . بعد أن أجبرتهم على الانسحاب من قيصرية ، الا أن الهجمات البيزنطية المضادة فى سورية وأرمينية انتهت بالفشل ولم تحقق ما هدفت اليه ، ومنيت الجيوش البيزنطية امام الفرس بهزيمة كبيرة عام ٦١٣ م . بالقرب من انطاكية مما ساعد الفرس على تقوية مراكزهم فى معظم المناطق التى هاجموا بيزنطه فيها ، فتقدموا باتجاه الجنوب واحتلوا دمشق فى عام ٦١٤ م ، ثم ساروا

---

(١) بخصوص الحرب البيزنطية الفارسية بكافة تفاصيلها راجع :

Pisidia : De expeditione persica.
Heraclias, in C.S.H.B. ed.
Bonnae, 1830 - 1839.

سمالا الى فيليقية واحتلوا قلعة طرسوس الحصينة ، كما تمكنوا من طرد البيزنطيين من ارمينية .

ولعل أقسى الضربات التى تلقتها بيزنطة فى هذه الحرب هى احتلال الفرس لمدينة بيت المقدس ، بعد ان حاصروها لمدة ثلاثة أسابيع ، وحين دخل الفرس المدينة اشعلوا فيها الحرائق وأعملوا القتل والذبح فى سكانها لعدة أيام ، وخربت نتيجة هذه الحرائق ، كنيسة القبر المقدس ، ووقع فى قبضة الفرس الصليب المقدس ، أو صليب الصلبوت ، الذى يعتبرونه أقدس الآثار المسيحية ، والذى تألموا كثيرا لفقده ، اذ حمل الفرس هذا الصليب الى عاصمتهم المدائن . وفى سنة ٦١٥م . عاود الفرس هجماتهم على آسيا الصغرى ، وتوغلت بعض فرقهم حتى كريسوبوليس على البسفور .

ويبدو أن خاقان الآمار قد وجد فى هذه الظروف التى كانت تمر بها الامبراطورية البيزنطية الفرصة المناسبة لتحقيق أهدافه ، فتقدم فى يونيو ٦١٧ بطلب مقابلة الامبراطور هرقل ، فاستجاب الامبراطور لطلبه ، ورتب أمر هذه المقابلة ، البطريق اثاناسيوس ، ووزير الخزانة كوزماس ، وتمت المقابلة فى هرقلية Heraclea وهى احدى ضواحى القسطنطينية ، وتقع الى الشرق منها وتطل على بحر مرمرة ، وتوقع هرقل ان يطلب

≠

Nicephori Patriarchae : Breviarium, ed.De Boor, Leipzig, 1880.

Ostrogorsky : op,cit., PP. 92 - 109.

Vasiliev : op.cit., PP. 194- 199.

Brehier : Vie et mort de Byzance,PP. 53 - 57.

Baynes : The Successors of Yustinians, C.Med.H.vol 11,PP. 267 - 300.

زيادة الجزية السنوية التى يدفعها للآفار ، لكن ما لبث أن خاب ظن الامبراطور يعرض الخاقان لهذا الموضوع ، وانما طلب ما هو أفضل وأثمن ألا وهو تسليم البيزنطية نفسها (١) .

كان من الطبيعى أن يرفض الامبراطور هذا الطلب ، ومن إشارة بسوط الخاقان ، آفار من مخابئهم نحو الامبراطور الذى أدرك مدى الخطر الذى يواجهه وتتعرض صمة البيزنطية ، فخلع تاجه وعباءته الأرجوانية ، واخفاهما تحت ذراعه ، وانطلق فأخبر الحاميه والأهالى بالخطر الذى بات يتهددهم ، وما لبثت حشود الآفار ت تتدفق الى سهل هبدومون Hebdomon على الطرف الجنوبى للقسطنطينية ، حيث نهبوا كنيستى القديس كوزماس والقديس داميان ، ثم ب القرن الذهبى وهو الى الغرب من العاصمة ، حيث هاجموا كنيسة كبير Archangel ، وحطموا المائدة المقدسة بها ، ووقعت فى ايديهم هائلة من الاسرى والسبايا ، جمعوهم من ضواحى القسطنطينية ، ويذكر المؤرخ بينز أن عددهم وصل الى المائتين وسبعين ألف رجل وامرأة . وان كان هذا الرقم الغا فيه ، وعاد الآفار بالغنائم والاسرى الى ما وراء الدانوب (٢) .

وفى ربيع عام ٦١٩ م . غزا الفرس مصر أغنى أقاليم الامبراطورية البيزنطية ، فأدى هذا الغزو الى نقص امدادات العاصمة القسطنطينية من المؤن ، لا سيما القمح الذى

---

(1) Baynes : op.cit., P. 291.
Brehier: Vie et mort de Byzance, P. 54.
Ostrogorsky: op. cit., P. 95.

(2) Baynes : op.cit., P. 291.

كان يصلها من مصر . وهكذا أصبحت معظم ولايات الشرق الأدنى فى قبضة الفرس ، وبدأ وكأنهم سيسترجعون أمجاد امبراطوريتهم القديمة . وبلغ من سوء الأحوال فى بيزنطة أن فكر الامبراطور هرقل ، فى نقل عاصمته من القسطنطينية الى قرطاجه Carthage فى شمال افريقية ، ليقود من هناك حركة المقاومة ضد اعدائه المتربصين به من كل ناحية . لكنه لقى معارضة شديدة من جانب البطريرك سيرجيوس Sergius ، الذى نجح فى اقناع الامبراطور بالتخلى عن هذه الفكرة ، ووضع تحت تصرفه ثروة الكنيسة من الذهب والفضة لتستخدم فى مواجهة هذه الأزمة ، كما أصلحت الكنيسة ذات البين بين حزبى الخضر والزرق ، وتعهم الجميع حدود وابعاد الخطر المحدق ببيزنطه حتى بلغ الأمر الى حد ان توزيع الخبز مجانا ، وهو حق لاهالى العاصمة وامتيازا لهم منذ افتتاح قسطنطين الاكبر للعاصمة البيزنطية فى مايو ٣٣٠م . ، قد أمكن ايقافه دون حدوث اضطرابات خطيرة بين الأهالى لفقدهم هذا الامتياز .(١)

ولما كان الامبراطور يريد أن يتفرغ لحروبه فى آسيا ضد الفرس ، فقد وقع معاهدة صلح مع خاقان الآفار فى عام ٦١٩م . ، وتعهد له بدفع مبلغ كبير من المال كجزية سنوية ، ثم عين الامبراطور هرقل مجلس وصاية على ابنه وولى عهده قسطنطين الثالث ، ورأس هذا المجلس البطريرك سيرجيوس والماجستر بونوس ، وفى يوم الاثنين ٥ أبريل ٦٢٢م ، أقيم احتفال دينى كبير للامبراطور غادر على أثره العاصمة الى آسيا الصغرى ، حيث قضى الصيف بكامله يدرب جنوده . ثم بدأ القتال مع الفرس فى الخريف من نفس

---

(1) Nicephori Patriarchae : Breviarum, PP. 10 - 12.
Ostrogorsky : op.cit., PP. 92 - 93.
موصى : ميلاد العصور الوسطى ، ص ٢٣٢ .

العام ٦٢٢م ، وتمكن عن طريق مناورة عسكرية بارعة ان يشق طريقه الى أرمينيا وأجبر الفرس على ترك مواقعهم في الممرات الجبلية في آسيا الصغرى ، فتقابل الجيشان البيزنطي والفارسي على أرض أرمينية ، وجرت بينهما معركة كبيرة انتهت بانتصار البيزنطيين وبذلك حقق هرقل أول اهدافه ، وحرر آسيا الصغرى من الفرس الذين كانوا يحتلون بعض مقاطعاتها (١) .

واثناء غياب الامبراطور هرقل عن عاصمته القسطنطينية حاول خاقان الآفار ان ينقض الصلح مع البيزنطيين ، لكن هرقل عاد سريعا الى العاصمة ، وزاد في مقدار الجزية التي كان يدفعها للآفار بناء على الاتفاق السابق بينهما كما أرسل بعض أقاربه كرهائن لديهم (٢) ، وذلك حتى لا تفتح امامه جبهة قتال ثانية مع الآفار ، يكون لها تأثير سئ على حربه مع الفرس .

وشهد عام ٦٢٦م . أحداثا هامة وخطيرة في الصراع الدائر بين البيزنطيين والفرس من جهة ، وبين البيزنطيين والآفار من جهة أخرى ، فقد صمم حاكم الفرس كسرى الأول انوشروان (٥٣١ ـ ٥٧٩ م) على حشد جيوشه لسحق البيزنطيين وقامت خطته على أساس أن يستوقف أحد جيوشه هرقل بينما يزحف جيش آخر على خلقيدونية Chalcedon ويهاجم العاصمة (القسطنطينية) ، ومن أجل ذلك اتصل الفرس بالآفار اعداء بيزنطه ، وقام تحالف بين الفرس من جهة والآفار ورعاياهم من الجهة الأخرى (٣) ، وكان هذا التحالف

---

(1) Baynes : op.cit., PP. 292 - 293.
Ostrogorsky: op.cit., PP. 100 - 101.

(2) Ostrogorsky: op.cit., P. 101.
Baynes : op.cit., P. 292 N. 2.

(3) Baynes : op.cit., P. 295.
Vasiliev : op.cit., P. 197.
Brehier : op.cit., P. 56.

هو ما يخشاه هرقل ، وربما من أجل ذلك كان يحاول دائما ان يشترى ود الآفار بدفع الجزية لهم وزيادتها مرة تلو الأخرى ، حتى لا يضطر لخوض حرب ضد خصمين فى وقت واحد • ولكن حدث فى ذلك العام (٦٢٦م) ما كان يخشاه هرقل ويحاول تعاديه ، وهو تعرض العاصمة البيزنطية للحصار برا وبحرا •

ففى الوقت الذى ظهر فيه القائد الفارسى شهر براز امام مدينة خلقيدونية فى أول يونية ٦٢٦ م• حيث قام باحراق ضواحى المدينة بكل ما تحتويه من كنائس ودور للسكن ، انتظر الفرس وصول الآفار ، الذين ظهرت مقدمة جيشهم أمام مدينة أدرنه فى يوم الأحد ٢٩ يونية وأصبح موقف بيزنطة فى غاية الخطورة ، لهذا حاول البيزنطيون تقويض هذا التحالف الفارسى الآفارى ، وأرسلوا الى الخاقان رسولا بيزنطيا هو البطريق اثاناسيوس Athanasius الذى عرض استعداد البيزنطيين قبول كل طلباته واجابة رغباته على شرط واحد فقط هو أن يتخلى عن خططه فى غزو القسطنطينية ، لكنه رفض وأكمل الآفار سيرهم حتى وصلوا الى الضواحى الشرقية للعاصمة وذلك فى يوم ٨ يولية ٦٢٦م • ، وأرسلوا دوريات استطلاعية تجاه القسطنطينية قامت بعمل اتصالات بجيش الفرس المرابط أمام خلقيدونية ، عن طريق اشعال النيران ، كما قاموا بتخريب القناة المائية التى تمد العاصمة بالمياه ، وفى يوم الثلاثاء ٢٩ يوليه ٦٢٦م• وصل الآفار بجيشهم كاملا الى أسوار العاصمة البيزنطية وكان جيشهم يبلغ عدده نحو ثمانين ألف رجل من الآفار والسلاف والجيداى والبلغار والسيكثيين وغيرهم من القبائل الأخرى الخاضعة للآفار ، وعسكروا أمام الأسوار الواقعة فى الجهة الشرقية من القسطنطينية (١) •

---

(1) Pisidia : Bellum Avaricum, ed. Bekker, in C.S.H.B., Bonnae, 1836 - 1839, V, PP. 194 - 201,401.

وقد اتخذ الماجستر بونوس عدة اجراءات سريعة من أجل الدفاع عن القسطنطينية ، بينما أخذ البطريرك سيرجيوس يشجع ويقوى من عزيمة الشعب ، الذى كان يعانى من شدة الخوف ، وقد أرسل الامبراطور هرقل الذى كان بعيدا عن عاصمته يقاتل الفرس فصيلة من جيشه لتقوية دفاعات العاصمة وكلفها بابلاغ المسئولين فى بيزنطة بأوامر الامبراطور الخاصة بخطط الدفاع ، وأخذ البطريق بونوس والبطريرك سيرجيوس يتفقدان الاسوار ويلهبان حماسة المدافعين عنها (1) .

وفى يوم الخميس ٣١ يولية أخذ الآفار يتفقدون الاسوار ، ووقع اختيارهم على المكان المتوسط من الاسوار ، الواقع بين بابى بمبتون Pempton ، وبوليندريون Polyandrion فى جنوب القسطنطينية ، وركزوا على هذا الجزء من الأسوار ، وحشدوا أمامه الجانب الاعظم من قواتهم ، فكان السلاف على خط المواجهة ، يليهم الآفار ، أما باقى الاسوار فقد حشدوا امامها قوات من السلاف وباقى العناصر

≠= Theodore Syncellus, ed. Sternbach, Analecta Avarica, Seorsum.impressum ex tomo XXX, Dissertationum Philologicarum Academiae.Litterarum Cracoviensis, 1900, PP.6,21.
Nicephori Patriarchae : Breviarium ed. de Boor, leipzig, 1880, PP.17,25.
Theophanes: chronographia, ed. de Boor, leipzig, 1883, P. 315.

(1) Theodore Syncellus , PP.9,12.
Barisié F. : Le Siége de Constantinople, par les Avares et les Slaves en 626, dans (Byzantion) Revue international des Etudes Byzantines, tome XXIV, Bruxelles, 1954, P. 380.

الاخرى المشتركة معهم والخاضعة للآفار ٠

ويبدو أن الآفار قد أدركوا أنه ينبغي أن تحاصر القسطنطينية بحرا أيضا ، لأن العاصمة كانت تمثل رأس مثلث يطل ضلعان منه على المياه بينما يطل الضلع الثالث على البر وحصارها من البر فقط يتيح لها أن تحصل على المؤن والأغذية والامدادات العسكرية عن طريق البحر فيطول الحصار ويفشل في النهاية ، واذا حوصرت بحرا فقط ، فانها تستطيع أن تحصل على ما يلزمها من مؤن عن طريق البر ، ويطول الحصار ويفشل أيضا ، لذلك استعان الآفار باسطول السلاف وحاصروا القسطنطينية بحرا وكان تركيزهم أشد ما يكون على مياه القرن الذهبي في الناحية الغربية من العاصمة ٠

وقد اقتصرت الحرب بين الطرفين البيزنطي والآفاري حتى ذلك الوقت ، على المناوشات المحدودة ، سواء في البر أو في البحر على حد سواء ، وأرسل الماجستر بونوس الى خاقان الآفار يعرض عليه أن يرفعوا الحصار عن القسطنطينية ويرحلوا ، مقابل ان يدفع لهم تعويضا ماليا كبيرا ، بالاضافة الى الجزية السنوية ، لكن الخاقان رفض هذا العرض ، وأصر على أن يتم تسليم العاصمة له ، بعد اخلائها من أهلها ، الذين عليهم أن يغادروها دون أن يحملوا معهم أية أمتعة أو ثروات (١) ٠

ويبدو أن خاقان الآفار رأى أنه تشدد في مطالبه ، وأراد ان يفتح باب المفاوضات مع البيزنطيين من جديد ، فأرسل الى المسئولين في بيزنطه يوم الأحد ٢ أغسطس ٦٢٦م يطلب ارسال سفارة اليه من أجل التفاوض ، وبعد مشاورات في القصر الامبراطوري بين

---

(1) Theodore Syncellus , PP.15 - 20.
Barisié : Le Siége de constantinople, P.303.

ولى العهد قسطنطين الثالث ، والبطريرك سيرجيوس ، والماجستر بونوس ، ورجـــال مجلس الشيوخ (السناتو) وتقرر ارسال وفد الى الخاقان على رأسه رجل الدين ثيـودور سفكيلوس ، حاملين معهم الهدايا الثمينة للخاقان ، وعروض بيزنطه للسلام ، ويبـدو أن القائد الفارسى شهر براز الذى كان يعسكر امام مدينة خلقيدونية ، قد علم بأمر هـــذه المفاوضات ، فسارع بالعمل على تقويضها ، فارسل ثلاثة رسل من طرفه الى الخاقـــان وافوه فى معسكره ، واجتمعوا به ، ويبدو انهم حرضوه ضد البيزنطيين ، اذ سرعان مـــا تغيرت سحنته ولهجته مع الرسل البيزنطيين " مثلما تتغير الحرباء " على حد تعبـــير ثيودور سفكيلوس ، فعاد يصر من جديد على ضرورة اخلاء القسطنطينية من أهلهـــا وتسليمها اليه . وعندئذ رفض الرسل البيزنطيون شروطه وغادروا معسكره عائدين الـــى القسطنطينية . (١)

وكان ذلك مبررا لاشتعال المعركة بين البيزنطيين وجيش الآفار برا وبحرا فى يـــوم الاربعاء ٦ أغسطس ٦٢٦م . واستمر القتال على امتداد الاسوار طوال النهار وجزء مـــن الليل ، أصيب خلاله الطرفان باضرار بالغة ، وان كانت خسارة الآفار اكبر من خســـارة البيزنطيين ، واستؤنف القتال يوم الخميس ٧ أغسطس ، واختلطت أصوات آلات القتـــال بصيحات الحرب المرعبة ، فى نفس الوقت جرت معركة بحرية كبيرة بين الاسطول البيزنطى واسطول المهاجمين ، وكان مسرح هذه المعركة البحرية خليج كيراس Keras فى القرن الذهبى ، وتمكن الآفار من الاستيلاء على ملحقات قصر بلاكرناى ، الذى يقع فـــى الزاوية الجنوبية الغربية من القسطنطينية ، وأخذوا فى الاقتراب من القصر شيئا فشيئا ، لكن الماجستر بونوس اصدر أوامره للسفن الحربية البيزنطية بالالتفاف حول سفن المعتدين

---

(1) Theodore Syncellus : PP. 11,14-40.
Pisidia : Bellum Avaricum, PP. 323 - 348.

فأحاطوا بهم من كل جانب واشتعل القتال ، واندفع المقاتلون من الجانبين مها جمين بالرماح والسيوف والحراب ، وثقب البيزنطيون سفن عديدة لاعدائهم فغرقت بمن فيها ، وكثر عدد القتلى الذين ذبحوا بسيوف البيزنطيين ، لدرجة أن اصطبغت مياه البحر باللون الاحمر لكثرة ماسال فيها من دماء ، وأبلى المقاتلون الأرمن في الأسطول البيزنطي بلاء حسنا وقتلوا وأغرقوا عددا كبيرا من البحارة السلاف ، ونجحت اعداد أخرى منهم في السباحة والوصول الى الشاطئ ، لكن خاقان الآفار الذي كان يراقب المعركة أمر بقتلهم حتى يجبر الباقين منهم على القتال وعدم الفرار ، الا أن اعدادا أخرى منهم آثرت الفرار والاختباء في الجبال ، وانتهى أمر اسطول الآفار تماما في هذه المعركة ، وامتلأت مياه القرن الذهبي القريبة من قصر بلاكرناي بجثث القتلى وبالزوارق الخاوية التي تتقاذفها المياه هنا وهناك ، وحينما أدرك خاقان الآفار أنه خسر المعركة ، اسرع الى خيمته وجثى على ركبتيه وظل يلطم رأسه وصدره (١) .

وأعلن المدافعون عن القسطنطينية نبأ انتصارهم على الملأ ، ورفعوا رؤوس القتلى من الاعداء فوق رماحهم ، مما ادى الى انسحاب كتائب السلاف واحدة في اثر الأخرى ، وخوفا من الفرسان الآفار ، انطلق السلاف فارين ، وانتقلت عدوى الفرار الى البحارة السلاف الذين كانوا مختبئين في الجبال ، فأخذ الفرسان الآفار في مطاردتهم ، على حين أخذ المشاة في اخلاء اماكنهم تحت اسوار القسطنطينية . وأصدر الماجستر بونوس أوامره الى كل الجنود البيزنطيين الذين كانوا خارج اسوار العاصمة ان يدخلوا اليها ، وأخذ الجميع يحتفلون بهذا النصر العظيم ، سواء في الكنائس أو المنازل أو الشوارع ، وخرج الماجستر بونوس والبطريرك سيرجيوس في يوم ٨ أغسطس الى خارج أسوار العاصمة

---

(١) يوجد وصف تفصيلي لهذه المعركة في المصدرين التاليين :

Theodore Syncellus : PP.12-40.
Nicephori Patriarchae : Breviarium, PP. 6 - 24.

واشرفا على حرق جميع آلات الحرب التى تركها المعتدون تحت الأسوار ٠ (١)

أما القائد الفارسى شهربراز وجيشه ، فقد استمروا معسكرين أمام خلقيدونيـــة ، وقال ثيودور سكيلوس انهم استمروا امامها (أياما عديدة) بعد رفع الآثار الحصار عـــن (٢) القسطنطينية ، على حين ذكر ثيوفانيس وسكيليتزيس أن شهربراز " قضى فصل الشتــاء " (٣) امامها ، والغالب ان شهربراز انسحب من أمام خلقيدونية فى فصل الربيع من عام ٦٢٧م ٠ (٤)

والملاحظ أن شهربراز لم يكن له دور كبير فى حصار القسطنطينية فى عام ٦٢٦م ، اذ لم يشترك فى هذا الحصار لا بالرجال ولا بالآلات ولا بالأسطول ، والأرجح انه اراد من وصوله أمام خلقيدونية ان يشل حركة هجوم هرقل على أرمينية ، ويظهر للبيزنطيين أن ما احرزه هرقل من انتصارات على الفرس لم يكن لها قيمة كبيرة ، بدليل وصول الفـــرس الى خلقيدونية امواجهة للقسطنطينية ٠ وربما اراد ان يجبر هرقل على العودة لانقاذ عاصمته ، والدفاع عنها ضد الاعداء ، وبذلك تتاح للفرس فرصة استعادة مراكزهم فـــى الاقاليم التى انتزعها منهم ٠ لكن هرقل كان بعيد النظر فصمد فى ميدان المعركة فـــى الشرق ، وآثر عدم العودة الى العاصمة ، وأفسد على الفرس خططهم ، وهكذا لم يحقق الفرس أية مكاسب من وراء هذا الحلف الفارسى الآفارى ٠

---

(1) Theodore Syncellus : PP. 7 - 37.
(2) Theodore Syncellus : PP.17 - 22.
Manojlovic : Le peuple de constantinople, davs (Byzantion) tome 11, 1936, P. 632.
(3) Theophanes : P. 316.
Skylitzes : Excerpta Exbreviaro Historiae, webri, Bonnae, 1840, P. 729.
(4) Barisié : op.cit., P. 390.

هذا عن الفرس، أما الآفار، فقد كانت خسارتهم فادحة، ولا نكون مبالغين اذا قلنا أن فشل الآفار في حصار القسطنطينية في عام ٦٢٦ م. كان نقطة تحول خطيرة في وضعهم السياسي والحربي، على النحو الذي يتضح من خلال عرضنا التالي للحوادث.

ذلك أن العاصمة البيزنطية بما لها من موقع ممتاز على مضيق البسفور، وبما تملكه من ثراء ورخاء، جذبت الآفار اليها وبهرت أنظارهم منذ أمد بعيد، وبعد تجربة لهم فاشلة في عام ٦١٢م. للاستيلاء على المدينة عنوة، لم يقنعوا لا بالأموال ولا بالهدايا التي قدمت لهم مع هدنة عام ٦١٦م.، وأصروا على الاستيلاء على العاصمة نفسها، وقاموا بمحاولتهم هذه في عام ٦٢٦م. وكانت الظروف مهيأة لهم تماما في ذلك الوقت، فالتوقيت كان مناسبا نظرا لانشغال الامبراطور هرقل بحربه ضد الفرس، وكان بعيدا عن عاصمته هو ومعظم فرقه العسكرية، كما أن الاستعدادات العسكرية كانت أيضا في صالح الآفار، اذ وصل جيشهم الى نحو ثمانين ألف مقاتل، وهو عدد يفوق ثلاث أو أربع مرات عدد المدافعين عن العاصمة البيزنطية، كما أنهم أتوا بآلات حصار كافية، وتنبهوا الى ضرورة حصار المدينة برا وبحرا، حتى لا تستفيد من أية امدادات عسكرية أو تموينية يمكن أن تصل اليها. ورغم ذلك كله فشل الحصار. وليس هناك من تعليل لذلك سوى أن الآفار ورعاياهم من البلغار والجبيداي والسلاف وغيرهم من القبائل كانوا يفتقرون الى النظام، كما أن بعض هذه العناصر أخذت تقاتل بعضها البعض أمام العاصمة البيزنطية مثل الميكثيين الذين أخذوا في قتل السلاف، ثم تغلب عليهم السلاف بعد ذلك وقتلوهم (١). وقد حالت هذه المذابح المتبادلة بين هذه العناصر وبين تحقيق أهداف الحرب التي جاؤا من أجلها. وذلك على عكس الحال بالنسبة للبيزنطيين، الذين تكاتفت فئاتهم، والتفوا حول قادتهم من أجل هدف معين، وخاضوا معركة كانت بالنسبة

(1) Pisidia : Bellum Avaricum , PP. 76-81.
Barisié : op.cit, P. 395.

معركة حياة أو موت ، فأما الانتصار على هذه القبائل ، والاحتفاظ بعاصمتهم ، واما ون كل شئ ويصبحون عبيدا لهؤلاء البرابرة . أضف الى ذلك أنهم كانوا يدافعون عن متهم وفقا لخطط وتدابير مدروسة ومنظمة ، اشترك فى وضعها الامبراطور هرقل نفسه ، اجستر بونوس ، كما قام الاسطول البيزنطى بدور هام فى الدفاع عن العاصمة وألحق مار باسطول السلاف فى مياه القرن الذهبى . كما قامت الكنيسة أيضا ممثلة فى طريرك سير جيوس ورجال الدين بدور رئيسى فى تقوية عزائم الشعب وبث الحماس فى فوس للدفاع عن العاصمة . وهكذا قدر للحضارة ان تنتصر على البربرية ، وقدر لبيزنطه تنجو من مصير مظلم .

وقد ترتب على فشل الآفار أمام القسطنطينية فى عام ٦٢٦م . نتائج على جانب كبير الأهمية والخطورة . فقد أخذت قوتهم فى التداعى وتخلوا وبصفة نهائية عن حلمهم فى العاصمة البيزنطية ، فتراجعوا الى اقليم بانونيا مدحورين ، ولم يجرؤا بعد ذلك على قتراب من القسطنطينية .

كذلك انهار نفوذهم وفقدوا هيبتهم بين رعاياهم المغلوبين على أمرهم ، وأخذت الشعوب فى التمرد وخلع طاعتهم ، ولاسيما سلاف مورافيا ، الذين ثاروا ضد الآفار سوا لانفسهم مملكة تحت حكم سامو (١) Samo ، وهكذا ظهرت للوجود أول لة صقلبيه فى مورافيا (٢) .

---

(١) سامو هو أحد التجار الفرنجه تولى زعامة السلاف وحكمهم لمدة ٣٥ عاما ، راجع :
Gregoire : L'origine et le nom des croites et des Serbes, dans (Byzantion) tome, XVII, 1944 - 1945, P. 112.

(2) Dvornik : The Slavs, Their early History and civilization, Boston, 1956, American Academy of Arts and Siences, PP.60 - 61.

كما ثارت عليهم أيضا القبائل البلغارية التي كانت تسكن شمالي البحر الأسود وبحر الخزر ، وسلموا قيادتهم الى زعيم منهم يدعى كوفرات Kouvrat ، وساعد البيزنطيون كوفرات في نضاله ضد الآفار ، وعقد معه الامبراطور هرقل تحالفا ومنحه لقب قائد بيزنطي ، وعمد ، عضوا في الكنيسة النصرانية ، وظل البلغار في صراعهم مع الآفار حتى استقلوا عنهم في النهاية حوالي عام ٦٤٠م (١) .

ومن الشعوب التي استقلت أيضا عن الآفار بعد هزيمتهم عام ٦٢٦م . الكروات (٢) والصرب ، الذين كان موطنهم الأصلي وراء جبال الكربات ، ثم هاجروا الى شبه جزيرة البلقان .. وأخضعهم الآفار لسيادتهم ، وعمد الامبراطور هرقل الى أن يضرب بهم الآفار عقب هزيمتهم عام ٦٢٦م ، فحرضهم على قتالهم ، وتغلبوا عليهم ، فسمح لهم

---

(1) Nicephori Patriarchae : P. 24.
Theophanes : P. 357.
Gregoire : L'origin, PP. 112 - 116;
Runciman : A History of the First Bulgarian Empire, PP. 13 - 16.
موصى : ميلاد العصور الوسطى ، ص ٢٩٧ .

(٢) يذكر الامبراطور قسطنطين السابع أن كلمة كروات Croats تعني في اللغة السلافية (الذين يحتلون الكثير من الاراضي) راجع :
Constantine Porphyrogenetus : De Administrando Imperio, Chapter 31.
ويذكر المؤرخ الفرنسي هنري جريجوار أن الكروات والصرب اسمان لشعب واحد ، فقد اتخذ الكروات اسمهم من اسم قائدهم واسمه كروات Croate ، واتخذ الصرب اسمهم من اسم قائدهم ويدعى صرب Serbe ، راجع :
Gregoire : L'origine et le nom des croites et des Serbes, P. 100.

الامبراطور هرقل بالاستقرار فى شبه جزيرة البلقان ، حيث سكن الكروات فى المناطق الشمالية الغربية من البلقان ، وسكن الصرب فى المناطق الجنوبية الشرقية ، واعترفوا جميعا بالسيادة البيزنطية (١) .

وتجدر الاشارة الى أن الامبراطور هرقل لم يدعو الكروات والصرب لسكن البلقان ، لكنهم هم الذين كسبوا بالقوة أراضيهم داخل حدود الامبراطورية ، وكل ما فعله هرقل أنه اعترف بهم وأضفى الصفة الشرعية على وضعهم كتابعين للامبراطورية ، وأخذ على عاتقه تعليمهم استيعاب الحضارة البيزنطية واعتناق الديانة المسيحية . والواقع أن السيادة البيزنطية على هؤلاء السلاف لم تكن الا سيادة اسمية ، وكل ما جنته بيزنطه من هذه التغييرات فى البلقان ، هو الخلاص من غارات الآفار المتكررة على أراضيها وطمعهم فى امتلاك العاصمة البيزنطية ذاتها ، وهو الأمر الذى سبب قلقا دائما لهرقل حتى تمكن فى النهاية من القضاء عليه .

واذا كان الامبراطور هرقل قد نجح فى ابعاد خطر الآفار عن امبراطوريته وشجع رعاياهم على خلع طاعتهم مما أدى الى انكماش امبراطوريتهم واقتصارها على اقليم بانونيا ، الا أن الفضل يرجع للامبراطور شارلمان (٧٦٨ ــ ٨١٤) فى القضاء على الآفار بصفة نهائية .

فقد اهتم شارلمان بمد نفوذه الى بافاريا فى الجنوب الشرقى من دولته ، وأذعن له البافاريون فى البداية على أساس الاعتراف بسيادته عليهم ، وتحويل مملكتهم الى دوقية تحظى بنوع من الاستقلال الذاتى سياسيا وكنسيا . على أن خروج ملك البافار بين

---

(١) بخصوص الكروات والصرب وعلاقاتهم بالآفار وبيزنطة راجع :

عن الطاعة واعلانه العصيان في ٧٨٨ م • وطلبه المساعدة من جيرانه الآفار في بانونيا ،
كل ذلك دفع شارلمان الى اعبادرة بخلعه ونقله الى أحد الأديرة ، واجباره على التنازل
عن كل حقوقه وحقوق أسرته في بافاريا وادخالها في دائرة أملاك الفرنجه • (١)

وهكذا تم ضم بافاريا الى أملاك شارلمان مما جعله في مواجهة مباشرة مع الآفـار ،
وقد بادرت جيوش شارلمان باتخاذ خطة الهجوم ، وتقدم اريك دوق فريولى Eric
Duke of Friuli على نهر الدانوب ، فاقتحم الحلقة الكبيرة التي اقامها الآفـار
من متاريس ترابية مستديرة تؤلف المعقل الرئيسي لهم ، ثم توالت بعد ذلك الحملات على
الآفار حتى بلغ عددها ثماني حملات على مدى خمسة عشر عاما من ٧٩١ ــ ٨٠٥م ، قاد
منها شارلمان نفسه حملة واحدة فقط في عام ٧٩١م • بينما قاد ابنه بيبن Pepin
باقي الحملات ، وكان بيبن يحكم اللومبارديين في ايطاليا بعد انتصار شارلمان عليهم ،
ويقول اينهارد Einhard مؤرخ عصر شارلمان ، انه خلال هذه المعارك سالت
دماء الآفار كالنهر ، حتى ان جميع نبلائهم قتلوا ، وخربت قصورهم وديارهم في بانونيـا
ولم يعد أحد من الآفار يعيش هناك • (٢)

كما استولى الفرنجه على كنوز هائلة من الذهب والفضة والمنسوجات الغالية والاواني

---

(١) سعيد عاشور : اوروبا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٠٢ •
محمد الشيخ : تاريخ اوروبا في العصور الوسطى ، ص ٢٥٧ •

(2) Einhard and Notk the Stammerer, Two lives of Charlemagve, P. 67.
The Royal Annals, in " The Reign of Charlemagne " Documents on carolingian, Government and Administration, by H. R. loyn and J. Percival, 1975, PP. 30 & 39.

النفيسه ، وكلها من الغنائم التى غنمها الآفار على مدى أجيال متعاقبة • والمرجح أن معظمها كانوا قد نهبوه من مدن الامبراطورية البيزنطية وأديرتها وكنائسها التى طالما تعرضت للنهب من جانب الآفار • ويقول المؤرخ فيشر أن الأسلاب التى غنمها الفرنجه من الآفار ، قد اسهمت فى رفع شارلمان من حالة الغنى والثروة الى حالة الثراء الفاحش والثروة الوفيرة (١) •

وهكذا تم لشارلمان القضاء على الآفار ، فلم تقم لهم بعد ذلك قائمة ، واختفوا من مسرح الحوادث التاريخية ، وتحولوا الى سطور فى كتب التاريخ •

تلك كانت سيرة شعب من الشعوب الآسيوية والقبائل الهمجية التى غادرت موطنها جريا وراء المغانم والأسلاب ، وطمعا فى الامبراطورية البيزنطية التى كانت تمثل قمة الثراء والحضارة فى نظر هذه الشعوب ، وفى رحلتهم على مدى ما يزيد على القرنين من الزمان ، منذ اتصالهم بالامبراطورية البيزنطية فى العقد السادس من القرن السادس الميلادى ، وحتى قضاء شارلمان عليهم فى اوائل القرن التاسع الميلادى ، روع الآفار سكان المناطق التى مروا بها أو تلك التى استقروا فيها ، وقاموا بدور يماثل الدور الذى قام به اسلافهم الهون ، وظل الآفار حتى النهاية على وثنيتهم ، ولم يكن اتصالهم بالامبراطورية البيزنطية من أجل الثقافة أو التهذيب ، أو تذوق الحضارة ، أو التأثر بالديانة المسيحية ، على عكس الشعوب والعناصر الأخرى التى أغارت على الامبراطورية ، ثم تأثرت بحضارتها واعتنقت ديانتها المسيحية بمذهبها الارثوذكسى ، كالقوط الشرقيين ، والروس ، والبلغار ، والكروات والصرب وغيرهم ، فى الوقت الذى ظل فيه الآفار وحتى النهاية ، عناصر همجية هدفها السلب والنهب واغتصاب الأرض واخضاع الشعوب التى

(١) فيشر : أوروبا العصور الوسطى ، ج ١ ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف ، ص ٩٤ •

سافهما حظها التعس للوقوع فى طريقهم ٠

ورغم التخريب والنهب والسلب والتدمير الذى مارسوه فى الأماكن التى حلوا بها ، من بحر البلطيق الى شبه جزيرة المورة ، الا أنهم أثروا فى مجريات الامور فى تلك المناطق بل وامتد أثر هذا التغيير الى منطقة البلقان حتى العصور الحديثة ٠

فقد استعبد الآفار شعوبا كثيرة ، وضغطوا على شعوب أخرى ، مما دفعها الى ترك اماكن استقرارها والهجرة الى مناطق اخرى ، مثلما حدث مع اللومبارديين الذين تركوا مقرهم على نهر الدانوب ، تحت ضغط الآفار وهاجروا الى شمال ايطاليا ٠ كذلك ما حدث مع الأهالى من اليونان والرومان فى شبه جزيرة البلقان ، والذين اختلف المؤرخون حول ما حدث لهم من جراء هذه الغارات المدمرة ، فهناك رأى يقول ان العنصر اليونانى أبيد تماما فى المناطق التى تعرضت لغزو الآفار والسلاف خلال النصف الثانى من القرن السادس الميلادى واوائل القرن السابع ، ومن هذا الفريق ، المؤرخ أزيدور أسقف أشبيلية ، الذى سبق عرض رأيه فى ثنايا هذا البحث ٠ وهناك أيضا العالم الألمانى الكبير الأستاذ فلمرير Fallmerayer ، الذى كان استاذا للتاريخ العام بالجامعات الألمانية ، والذى عرض رأيه بهذا الشأن فى كتابه عن " تاريخ شبه جزيرة المورة فى العصور الوسطى " ونشر فى مدينة شتوتجارت الألمانية فى عام ١٨٣٠م ٠ اذ قال الاستاذ فلمرير ، ان ظهور الآفار فى أوروبا كان بداية عهد جديد فى التاريخ اليونانى ، لان الآفار دفعوا أمامهم السلاف وقادوهم لفتح بلاد اليونان ، وأضاف قائلا : " لقد أبيد العنصر اليونانى تماما فى أوروبا ، واختفى جمال الجسد ، وسمو الروح ، وبساطة التقاليد ، والابداع الفنى ، ونقاء العنصر ، وعظمة المدن ، وهدوء القرى ، وفخامة الأعمدة والمعابد ، وحتى أسماء الناس اختفت من البلاد اليونانية ،

وغطت قبور اليونان القدامى ، طبقتان من مخلفات الخراب والأوحال ، التي أحدثهما عنصران مختلفين جديدين (١) . وتمثل بعض الأعمال الخالدة ، التي تتميز بروح الهللينية وبعض الآثار القديمة على الأرض اليونانية ، الدليل الوحيد على الحقيقة الساطعة ، بأن ثمة شعبا هللينيا كان يعيش على هذه الأرض منذ زمن بعيد ... ولقد انتشر هذا الاعصار المروع فيما بين الجزء الأدنى من نهر الدانوب ، وحتى أقصى ركن فى البلوبونيز ، لذلك فانه لا توجد نقطة واحدة من الدم الهلليني النقي ، تجرى فى عروق السكان المسيحيين فى بلاد اليونان الحديثة " (٢) .

وهناك فريق آخر من المؤرخين يؤكد على أن العنصر اليونانى والحضارة الهللينية استمرت باقية ، وتمركزت فى مناطق السواحل المطلة على البحر الايجى كما تمركز الرومان على السواحل المطلة على البحر الادرياتى (٣) ، ومن هذا الفريق المؤرخين ، نورمان بينز ، . لمرل (٤) Lemerle ، استروجورسكى ، وموص .

وعلى سبيل المثال ، قال المؤرخ استروجورسكى (٥) : انه رغم خضوع البلوبونيز للغزو السلافى لاكثر من قرنين من الزمان ، الا أن الأقاليم اليونانية لم تصبغ بالصبغة الصقلبية ،

---

(١) المقصود بهذين العنصرين الجديدين ، الآفار والسلاف .

(2) Fallmerayer J.P. : Geschichte der Hallinsel Morea Wahrend des Mittelalters, Stuttgart, 1830, vol I, PP. III-XIV.

(3) Baynes : op.cit., P. 296.

(4) Lemerle: Invasions et migration des les Balkans, PP. 303 ff.

(5) O Strogorsky : op.cit., P. 94.

ان حرصت السلطات البيزنطية على المحافظة على الطابع اليوناني بهذه الجهات ....
وبذلك استعاد العنصر اليوناني قوته مرة أخرى بطريقة تدريجية ، وساد على السواحل الجنوبية والشرقية ... كما أكد العنصر الروماني وجوده على السواحل الغربية .

وقال المؤرخ موص (١) : انه رغم غزوات الآفار والسلاف للبلقان الا أن السواحل المطلة على البحر الايجي وشبه جزيرة البلوبونيز ظلت مراكز للحضارة والحياة الهللينية ، كما أن الرومان الذين فروا الى الجزر والخلجان الادرياتيه أقاموا جالية منعزلة من اللاتينيين ، ظلت قائمة حتى العصور الحديثة ، وقد مات آخر ناطق باللغة اللاتينية في ١٨٩٨م . ولم تكن لغته الاسلالة من اللسان الروماني القديم .

وهكذا نجد رأيين مختلفين تمام الاختلاف ، فالرأي الاول يقول ان العنصر اليوناني أبيد تماما ولم يبق له أثر نتيجة لغزوات الآفار والسلاف . والرأي الثاني يؤكد على أن العنصر اليوناني والحضارة الهللينية استمرت باقية ولم تندثر . والأرجح ان الرأي الثاني هو الأصح لانه منذ حل الآفار بمنطقة البلقان في العقد السادس من القرن السادس الميلادي ، استعبدوا سكان هذه المنطقة من مختلف العناصر ، وخاصة السلاف وانطلق اعصار الآفار يعصف بموجات تتابع السلاف ويحيلها الى تيارات عنيفة ، بما أضافوه لهذه القبائل من قوة دافعة ، وبما حرصوا عليه من انتشار في جميع اركان شبه جزيرة البلقان وبلاد اليونان وقد أدى ذلك الى احتلال دائم من السلاف لمناطق ايلليريا ، والماشيا ، مقدونيا ، وتراقيا ، والغالب ان هذه هي الفترة التي تم فيها صبغ المناطق الداخلية في شبه جزيرة البلقان بالصبغة الصقلبية ، وما ترتب على ذلك من فصل روما القديمه عن روما الجديدة (القسطنطينية) ، بعد أن وجدت كتلة من العناصر الصقلبية في شبه جزيرة

---

(١) موص : ميلاد العصور الوسطى ، ص ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ .

البلقان • ورغم الجهود العسكرية لبيزنطة لرد اعتداءات الآفار والسلاف الا أن الامبراطورية لم تعد تستطيع السيطرة على حدودها فى منطقة الدانوب بعد عام ٦٠٤م • كما سبق أن أوضحنا •

وفى وسط الفوضى التى عمت هذه المنطقة ، بدأت تظهر مستوطنات جديدة فى بلاد البلقان ، تلك المستوطنات التى كونت نواة الأمم الصقلبية الحالية ، اما السكان الاصليين من اليونان والرومان ، فقد دفعوا امام ضغط الآفار والسلاف الى حافتى شبه جزيرة البلقان المطلتين على البحر الادرياتى حيث استقر الرومان ، والبحر الايجى ، حيث استقر اليونان واستمرت الهللينية داخل هذه الاراضى بنفس مستواها الطبيعى فى اللغة والشخصية ، وقد سبق أن أوضحنا ذلك فى ثنايا البحث •

لذلك فان المقولة التى رددها الاستاذ فلمرير ، ومن قبله ازيدور أسقف أشبيلية وملخصها أن الشعب اليونانى أبيد فى المناطق التى تعرضت لغزو الآفار والسلاف فى البلقان وبلاد اليونان ، هى فى واقع الأمر مقولة مبالغ فيها •

واذا كان هذا ما أحدثه ظهور الآفار فى منطقة البلقان ، فان اضمحلال قوتهم وانهيار نفوذهم كان له أيضا آثار بعيدة المدى ، وكانت بداية هذا الاضمحلال هو فشلهم فى الاستيلاء على العاصمة البيزنطية فى عام ٦٢٦م ، وتمرد شعوب كثيرة عليهم وخروجها عن طاعتهم ، واستمر اضمحلالهم حتى تم فى النهاية تدمير قوتهم على يد شارلمان فى اوائل القرن التاسع الميلادى • وقد ترتب على ذلك أن أصبح الطريق مفتوحا أمام عنصر الفيكنج (١) ، للوصول الى حوض نهر الدنيبر وسواحل البحر الاسود ، فقد دأبوا

(١) الفيكنج هم العناصر الشمالية (سويديون ، نرويجيون ، ودانيون وهم سكان الدانمرك) التى سكنت شبه جزيرة سكنديناوه وشبه جزيرة الدانمرك ، وهم ينتمون من الناحية العنصرية الى الاصل التيوتونى أو الجرمانى • واسم الفيكنج بمعنى

سواء أكانوا فراصنة أم تجارا عنى الاغارة على مناطق الصقالبة على شواطئ بحر البلطيق ، وأقاموا بهذه الشواطئ معاقل دائمة لهم ، واستطاعوا أن يضعوا ايديهم رويدا رويدا على طريق التجارة العظيم ، الذى يتألف من شبكة الطرق المائية التى تربط بين بحيرة لادوجا والبحر الاسود ، ثم توغلوا جنوبا وأسسوا دوقية كييف التى أصبحت نواة الامبراطورية الروسية فيما بعد (١) .

وشمل انهيار قوة الآفار مجموعة الشعوب السلافية أيضا ، التى انحسر مدها غربا ، وارتد من أعالى النمسا لتؤلف تلك البلاد اذ ذاك جزءا من امبراطورية شارلمان ، وشرع مستوطنون من جرمان باڤاريا يستقرون فيها ، ويستقرون أيضا فى الجزء الغربى من المجر ، التى أصبحت مناطقها الشرقية بصفة خاصة جزءا من امبراطورية شارلمان ، وبذلك عاد الى الوجود خط حدود بانونيا الذى كان معروفا عند الرومان .

وهكذا امتد تيار النفوذ الفرنجى امتدادا حثيثا حاملا معه سمات الحضارة المسيحية اللاتينية شرقا ، صوب الاراضى التى هى الآن ، النمسا وبولندا وبوهيميا والمجر ، بعد أن تم القضاء على العقبة التى وقفت امام امتداده لهذه المناطق ، والتى تمثلت فى شعب الآفار .

≠ سكان الفيوردات أو الخلجان وهى الظاهرة الطبيعية التى امتازت بكثرتها شواطئ الجهات الشمالية الغربية من اوروبا .
وعن كل ما يتعلق بالفيكنج وتاريخهم وحضارتهم ونشاطهم الحربى فى العصور الوسطى راجع :
سعيد عاشور : اوروبا العصور الوسطى ، جـ١ ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٢ ، ص ص ٢١٨ ـ ٢٤٧ .

(١) محمد الشيخ : تاريخ اوروبا فى العصور الوسطى ، ص ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .
موس : ميلاد العصور الوسطى ، ص ٢٩٨ .

المصادر والمراجـــــع

1 - Alexander P. : The Patriarch Nicephorus of Constantivople, 1956.

2 - Barisié F. : Le Siége de Constantinople par les Avares et les Slaves en 626. davs (Byzantion) Revue international des Etudes Byzantines, tome XXIV, Bruxelles, 1954.

3 - Barker : Justinian and the later Roman Empire, London, 1966.

4 - Baynes N. : The Successors of Justinian, in C. Med.H. vol 11, ed. Bury Cambridge, 1976.

5 - Beisker : The Expansion of the Slavs, C.Med.H. Vol 11, ed. Bury, Cambridge, 1976.

6 - Brehier L. : Vie et mort de Byzance, Paris, 1969.

7 - Bury Y.B. : A History of the Eastern Roman Empire, London, 1912.

: A History of the later Roman Empire, U. S. A., 1956.

8 - Chabot : La Chronique de Michel le Syrien, Paris, 1899 - 1904.

9 - Charanis P. : Hellas in The Greeke Sources of Six th, Seventh, and Eighte centuries, in late classical and Medieval Studies, in Honor of Albert Mathias Friend, Princeton University press, 1953.

10- Constantine Porphyrogenetus : De Administrando Imperio, ed. Bonnae, C.S.H.B.

11- Diehl et Marçais : Le monde oriental de 395 a 1081, Paris, 1936.

12 - Dunlop : The History of the Jewish Khazars, U.S.A. 1967.

13 - Dvornik : The Slavs, their early History and civilization, Boston, 1956.

14 - Einhard and Notker the Stammerer Two lives of charlemagne, translated by Thorp. Great B ritain, 1969.

15 - Encyclopedia Britannica, William Benton Publisher, U.S.A. 1960.

16 - Evagrius : Historia Ecclesastica, ed. Bidez and Parmentier, London, 1898.

17 - Fallmerayer Y.P. : Geschichte der Hallinsel Morea wahrend des Mittelalters, Stuttgart, 1830.

18 - Fontaine Y. : Isidore de Seville et la culture classique d dans l'espagne wisigothique, paris, 1959.

19 - Gibbon : The Decline and Fall of the Roman Empire, London, 1976.

20 - Gregoire : L'origine et le nom des croites et des Serbes, dans (Byzantion) tome XVII, Bruxelle, 1944 - 1945.

21 - Halphen L. ed., Eginhard, la vie de charlemagne,paris, 1923.

22 - Hartmann : Italy under the Lombards, in C.Med. H. Vol 11, ed. Bury, 1976.

23 - Hauptmann: Les Rapports des Byzantins avec les Slaves et les Avars Pendant la second moitié de vi e siécle, dans (Byzantion) tome IV, 1927 - 1928.

24 - Haussig : A History of Byzantine Civilization, trans. from the German by Hussey, London, 1971.

25 - Hoyet and Chodorow : Europe in the Middle Ages, Third Edition, U.S.A., 1976.

26 - Hussey Y. : The Byzantine world, London, 1955.

27 - Johannis Biclarensis : Chronica, Chronica Minora, ed by Th. Mommsen, Berlin, 1894.

28 - John of Ephesus : Ecclesiastical History, translted from Syriac by Payne - Smith, Oxford, 1860.

29 - The Illustrated Encyclopedia of Medieval Civilization, ed. Grabois, U.S.A. 1980.

30 - Isidore of Seville : Chronica Maiora, Patrologia Lativa , LXXXIII.

31 - Lemerle : Invasions et migration des les Balkans, depuis L'epouque Romaine Yusqu'au VIII e Siécle, Revue Historique, vol CCXI, 1954.

32 - Lot : The End of the Ancient world and the Beginnings of the Middle Ages, London, 1931.

33 - Manojlovic : Le peuple de Constantinople, davs (Byzantion), tome 11, Bruxelles, 1936.

34 - Menander : Agathias Continuatus, fragments, in Historici Graeci Minores, edited by L. Dindorf , Leipzig, 1871.

35 - Moss : The Formation of the East Roman Empire (330-717), in C.Med. H.vol IV, part I, ed. Hussey, Cambridge, 1966.
The Birth of the Middle Ages, Oxford, 1947.

36 - Nicephori Patriarchae : Breviarium, ed. De Boor, Leipzig, 1880.

37 - Obolensky D. : The Empire and its Northern Neighbours (565 - 1018), in C. Med. H., vol IV, part I, ed. Hussey, cambridge, 1966.

38 - O'Callaghan Y.F. : A History of Medieval Spain, 1975.

39 - Oman : The Dark Ages , London , 1908.

40 - Ostrogorsky G. : History of the Byzantine State, English Trans. by Hussey, Oxford,1968.

41 - Painter S. : A History of the Middle Ages, 284 - 1500, London, 1979.

42 - Paul the Deacon : History of the Lombards, trans. from latin by Foulke, ed. by peters, penselvania press, 1974.

43 - Pisidia : De expeditione persica,
,, : Bellum Avaricum.
: Heraclias.
ed. Bekker, C.S.H.B., Bonnae, 1836 - 1839.

44 - Rambaud A. : Etudes Sur L'histoire Byzantine, Paris, P. 1912.

45 - The Royal Annals, in (The Reign of Charlemagne) Ducuments on Carolingian Government and Administration, by H.R.loyn and Yohn Percival , 1975.

46 - Runciman S. : Byzantine Civilization . Seventh Impression, Great Britain, 1975.

47 - Simocatta Th. : Historiae, ed, by De Boor, Leipzig,1887.

48 - Skylitzes G. : Excerpta Exbreviario Historiae, webri, C.S.H.B., Bonnae, 1840.

49 - Syncellus Th., ed Sternbach, Analecta Avarica, Seorsum Impressum ex tomo XXX, Dissertationum Philologicarum, 1900.

50 - Theophaves : Chronographia, ed. de Boor, 2 vols, Leipzig, 1883 - 85.

51 - Toynbeé A. : Constantiwe Porphyrogenitus and his world, London, 1973.

52 - Vasiliev : History of the Byzantine Empire (324-1453), 2 vols, wisconsin press, U.S.A.